مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : تشرين الثاني سنة ١٩٢٧ م الموافق جمادى الاولى سنة ١٣٤٦ هـ

حاجة العلوم العربية الى التجديد (١)

اذا ألقيت بنظرة على المتعلمين في الشرق رأيتهم يتعلمون بعض العلوم على نمط خاص وبعضها على نمط آخر ، فهم يتعلمون النحو والصرف والبلاغة والمنطق والفقه مثلاً على النمط القديم — وهو نمط لم يتأثر بالمدنية الحديثة ولم يعبأ بها ولم يفرض لها وجوداً — وهم يتعلمون الطبيعة والكيميا والرياضة والجغرافيا مثلاً على النمط الحديث ، ينقلون ذلك عن الغربيين ، وتساير كتبهم ونظرياتهم الكتب الغربية والنظريات الغربية ولا ترى من بينهم من يدرس الجغرافيا على نحو ما ألف الادريسي ولا الطب والطبيعة والكيميا على نحو ما ألف ابن سينا ولا الرياضة على نحو ما الف العاملي الا افراداً ليس يبنى عليهم حكم .

والحق ان لكل من النمطين منطقاً يخالف منطق الآخر وتأثيراً في العقل مختلفاً وهذان المنطقان لا يتعاونان بل يتضادان ويفسد احدهما عمل الآخر ، ومن أجل هذا أرى ان عقول الناشئين تضطرب بين المنطقين ، وتختل بالتضاد بين النظامين ، ونحن احوج ما نكون الى وضع اساس ثابت تتلاءم اجزاؤه ولا تتناقض آثاره ، وبذلك وحده يتكون عقل المتعلم غير مشوه هذا التشويه الذي نرى ولتوضيح هذه النظرية نقول:

ان المتتبع للعلوم العربية على اختلاف انواعها والنمط الذي سار عليه المؤلفون في تآليفهم يرى ان هذه التآليف يتضح فيها خاصتان (الاولى) تأثرها جميعها — الى حد كبير

(١) أطروحة الاستاذ المحقق الشيخ احمد امين من علماء مصر بمناسبة انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي .

بمنطق ارسطو ، فالعرب في اول عهدهم بالعلم شغفوا بمنطق ارسطو ونقلوه كما هو تقريباً الى لغتهم وحافظوا على نقله حتى في الامثلة والترتيب وعدوه كما عده اليونان اساساً للعلوم ، ومن ثم وضعوا علومهم حتى الشرعية منها كعلم الكلام على اساس هذا المنطق ·

وطبيعة هذا المنطق — منطق ارسطو — ناقصة قاصرة ، فهو يفرض ان حقائق هذا العالم معروفة قد فُرغ منها وانما مهمته ان يعلمنا كيف ننقل هذه الحقائق من ذهن يعرفها الى ذهن لا يعرفها — ترى هذا واضحاً في أبواب المنطق فهو لا يعنى كثيراً بالبحث عن صحة القضية وكيف يعتورها الشك وكيف تمتحن لنتبيه صحتها من فسادها وانما اكثر ما يعنى به القضية من حيث شكلها و « رسمياتها » — فهو لا يلفت الذهن الى بحث القضايا وامتحانها وابتكار ما ليس بموجود انما يعتمد على اشكال القضايا — من كلية وجزئية وموجبة وسالبة — ليستنتج منها نتائجها ولو كانت القضايا نفسها خطأ ·

من اجل ذلك كان اثر هذا المنطق على الذين اشتغلوا به وجعلوه وحده اساس تفكيرهم انهم اقتصروا على شرح الحقائق المعروفة ونقلها من عقل الى عقل اما امتحان نظرية والشك فيها وتجربة صحتها من فسادها ووضع نظرية أُخرى جديدة محلها فنتج قل ان يكون تأثر بذلك الجمود علماء العرب بعد حركتهم الاولى في نقلهم العلوم كما تأثر بذلك ايضاً علماء الغرب الى العصر الحديث ·

في هذا العصر خلع الغربيون نير منطق ارسطو ووضعوا بجانبه منطقاً حديثاً اساسه الشك في الحقائق التي نعرفها عن هذا العالم وامتحان ما نووُرث على انه حقائق وتسليح العقل لغزو هذا العالم واستكشاف ما فيه من حقائق سدل عليها حجاب كثيف ·

ان شئت مقارنة بين المنطقين فمنطق ارسطو منطق تعليم لما علم والمنطق الحديث منطق استكشاف لما لم يعلم منطق ارسطو يعلمنا مثلاً كيف نغذي الطير ببذر الحب له ونرضع الطفل بإلقامه الثدي والمنطق الحديث يعلمنا كيف نكون كالنحل نجمع غذاءنا بانفسنا من مختلف الازهار ، منطق ارسطو اتكالي والمنطق الحديث استقلالي ·

ألست ترى اثر هذا المنطق الجاف في العلوم العربية فليس من جديد فيما يؤلف

فيها الا تقديماً لمتأخر او تأخيراً لمتقدم او جمعاً لمفترق او تفريقاً لمجتمع وانت اذا اردت ان تسرد عدداً من مؤلفي العرب أمثال ابن خلدون في ابتكاره وتجديده لم تجد كثيراً وانت لو عمدت الى كتب البلاغة بعد السكاكي فأعدمتها او كتب النحو بعد ابن هشام فأحرقتها اوكتب المنطق بعد التي ترجمت في العصر العباسي فأتلفتها لم تكن خسرت كثيراً بل ربما لم تكن خسرت شيئاً وقل مثل ذلك في غير هذا من العلوم العربية .

(الخاصة الثانية) وهي كالنتيجة للاولى ان هذه المؤلفات العربية لم تتأثر بالعصر الذي وجدت فيه ولا بالحالة الاجتماعية التي كانت سائدة زمن تأليفها ولا بحالة المملكة التي ألفت فيها مع ان العلم في كل عصر يجب ان يستمد حياته من طبيعة العصر الذي يعيش فيه ، يشتق منها أمثلته و يحدد بها غايته و يرسم منها خطته — ألست ترى كتب الفقه الى الآن تقدر الماء في باب الطهارة بذراع الكرباس ولا تعبأ بالمقاييس الحالية وتقدر الواجب في الزكاة بالصاع ولا تعير التفاتاً الى مكيالنا وتقول ان المتعة درع وخمار وملحفة وتغض النظر عن ملابسنا وتقسم الشركة الى شركة مفاوضة وعنان ووجوه ولا تنظر الى ما استحدث من أنواع الشركات المختلفة وتتكلم في الزكاة عن العشر والخراج ولا تذكر علاقة ذلك بنظام الجمارك المعروف اليوم — او لست ترى المعاجم المستعملة الى اليوم في أيدي المتعلمين تقول ان الاهرام بناها ادريس عليه السلام او سنان بن المشلشل (الفيروزابادي) وتعرف الكسوف والخسوف بما يتنافى مع العلم الحديث وترى مثل هذا في كل فرع من فروع العلم .

في ضوء ما ذكرنا يمكننا ان نحصر عيوب المؤلفات العربية فيما يأتي :

(ا) — في أمثلتها ففضلاً عن انها لم تشتق مما حولنا ولم تستمد حياتها من حياتنا فقد مضت عليها القرون تلو القرون وهي هي لم يعترها تغيير ولا تبديل كأنها عقيدة من العقائد حتى ملها الناس واشمأزوا منها كما يشمئزون من رؤية الثوب الرث البالي .

(ب) — في نمط تأليفها فهي غالباً يسودها الغموض حتى تبلغ بعض الأحيان الى ان تكون أشبه برموز كما ترى في كتب اصول الفقه والمنطق ولم يبذل المؤلفون مجهوداً كبيراً في تسهيل الموضوع وتقريبه الى الأذهان واندفعوا في هذا الطريق السخيف طريق المتن المركز ثم الشرح على المتن ثم الحاشية على الشرح ثم التقرير على الحاشية

وكان اولى ان يهضم مريد التأليف الموضوع ثم يخرجه سهلاً واضحاً مسلسلاً لا يحتاج الى شرح ولا الى حاشية ٠

ثم هم لم يحاولوا ان يسلكوا طرقاً مختلفة في كتابة الموضوع ولم ينظروا اليه من جوانب مختلفة بل كلهم صبوا تآليفهم في قالب واحد : التعريف اولاً ثم الكلام على الجزئيات على النسق الذي اتبع من قبل على ان البدء بالتعاريف خصوصاً اذا كانت دقيقة من أبعد الوسائل نجاحاً في تفهيم الناشئين فضلاً عن انها ليست الطريقة الطبيعية فليس التعريف عند الباحث الا النتيجة الختامية لبحثه — ان شئت فانظر حتى الى كتب النحو التي وضعها نخبة من المحدثين وأقرتها وزارة المعارف المصرية في مدارسها واقرأ في كتابها الاول الموضوع للسنة الثانية الابتدائية تعريف الحال والتمييز وأمثالها تدرك مايعاني طلاب العربية من صعوبة فقد استحال علينا ونحن طلبة تفهمها فحفظناها عن ظهر قلب ولم نتفهمها الا بعد ان جاوزنا هذا الدور بسنين عدة ٠

(ج) في جمودها — فقد وقفت حتى ركدت وتعفنت وساروا في تأليفها على مبدإ « القديم على قدمه » فلم يبتكر الخلف شيئاً يزيده عن السلف كأن كل علم تم وكمل ولم يبق فيه زيادة لمستزيد فلا موضوع جديد ولا مثل جديد ولا أسلوب جديد ٠

وهذا هو السر في انك ترى المعلم يبدأ بدراسة اللغة العربية والاجنبية معاً ويسير فيهما جنباً لجنب ثم اذا هو وقد أخذ من اللغة الأجنبية بحظ اكبر وتأدب بأدبها وهجر اللغة العربية ولفظها وكانت المؤلفات الأجنبية لذته في قراءته وسلوته في وحدته وعرف من تاريخ أدبائها ومؤلفاتها وآدابها ما لم يعرفه عن العربية ومؤلفيها مع انها لغة قومه وأقرب الى ذوقه — ذلك لانه يرى في الادب الغربي جدة في التفكير وتمشياً مع الحاضر وروحاً وحياةً ونشاطاً لايجدها في العربية فأين الروايات العربية التي تمثل حياتنا الاجتماعية واين الشعر العربي الذي يمثل عواطفنا الحاضرة واين الكتب العربية الطلية الجذابة التي نضعها في يد فتياننا وفتياتنا نهذبهم بها واين القصص اللطيفة المصورة التي نقدمها لاطفالنا ٠ حقاً اننا فقراء معدمون ٠

ولنذكر الآن علمين على سبيل المثال نوضح عيوبهما ونقترح ما نرى في علاجهما وهما (علم البلاغة) و(علم اللغة) ونرجو ان نوفق في مقال آخر لتحليل كهذا في العلوم العقلية ثم الشرعية ٠

علم البلاغة — انظر معي أيها القارئ الكريم نظرة عامة الى علم البلاغة تجد ان الكلام في هذا العلم بدأ ببحث بعض العلماء في السر الذي من اجله كان بعض الكلام بليغاً وبعضه غير بليغ وكان اذا عرض لاحدهم آية من القرآن او بيت من الشعر بليغ اخذ يعلل سبب الإعجاب وسر الفصاحة تعليلاً علمياً كما فعل ابو عبيدة معمر ابن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ واستمر العلماء يسيرون في هذا الطريق حتى اتى عبدالقاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ فجمع هذه المباحث ورتبها وأخرجها في كتابيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » وكان أساس تأليفه البحث في كيف يكون الكلام العربي بليغاً فصيحاً فهو يتعرض مثلاً للتقديم والتأخير من هذه الناحية ناحية ان كلاً منهما قد يكسب الكلام العربي فصاحة وبلاغة — وكثيراً مايعتمد في بحثه وبيانه على الذوق الادبي أكثر من اعتماده على التعليل العقلي فهو يأتي بالمثل و يقول الا تحس من هذا بروعة تملؤك ، الست اذا غيرت هذا الوضع ذهب ماتشعر به من جمال الى كثير من أمثال ذلك — وكان الى حد كبير موفقاً في اختياره الأمثلة وأديباً رقيقاً في تعبيره حتى ليفيدك من أسلوبه اكثر مما يفيدك من بحثه ثم أتى السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ وصبغ العلم الصبغة المنطقية ففصل المسائل وجعل لكل نوع اسماً وحدد مواضع التقديم والتأخير والفصل والوصل الخ وعدها وحصرها وعبر عن ذلك بالعبارة الفلسفية الجافة — والى هنا وقف العلم فلا ترى فيما الف بعد ذلك جديداً انما هو اختصار لمطول او تطويل لمختصر او شرح لعبارة غمضت او تفسير للفظة وردت ٠

ولم يعد في كل هذه الكتب غناء للمتعلم في عصرنا ، فان كان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رأى ان يرجع بطلبته الى كتب عبد القاهر ليتذوقهم البلاغة فلست أرى فيها ولا في كتب السكاكي ما يصح ان يكون كتباً تعليمية لاهل هذا العصر — لقد وحدت فيها الأمثلة جميعها حتى بليت وحتى صارت تستدعي التقزز بدلاً ان تستدعي الإعجاب : فزيد أسد ٠ وله لبد ٠ أظفاره لم تقلم ٠ وهو كثير الرماد ٠ جبان الكلب ٠ وكأن محمر الشقيق اذا تصوب او تصعد ٠ وسالت باعناق المطي الاباطح ٠

ثم ماهذا النمط البالي في التأليف في ان مواضع التقديم خمسة ومواضع التأخير ستة ومواضع الوصل والفصل كذا وما هذه الاسماء التي وضعوها لانواع الاستعارات

المختلفة وما قيمتها — ثم ما هذا الجمود في التأليف والمخترعات حولنا تفيض على الذهن الحي المبتكر تشبيهات واستعارات وكنايات تهز النفس لجدتها وحياتها ، وفوق ذلك فعلم البلاغة يجب ان يكون خادماً لعلم النفس فكلما تقدمنا في معرفة ملكات الناس وطرق استمالتهم وجب ان نحول البلاغة هذا المنحى للتأثير في عقول الناس وعواطفهم وإرادتهم ·

ان انت حددت الغرض الذي ترمي اليه من البلاغة هزئت بهذا النوع من البحث الذي يسمونه البلاغة · أليس الغرض من البلاغة ان نكتب جيداً ونتكلم جيداً ؟ هل هذا النوع من التأليف قد وفى بالغرض ؟ الحق ان لا ٠وان أعمق الناس دراسة في السكاكي وذيوله أبعدهم عن ان يجيدوا كتابة او خطابة ·

اين الكلام في كتب البلاغة عندنا على الوصف وما شروط جودته وما نماذجه الجيدة ؟ واين الكلام على القصص وأنواعه ؟ وهو هو الذي يستغرق الجزء الاكبر من الادب الغربي ومن حياتنا العامة · واين الكلام على الجدل والمناقشة وما السبيل السوي التي يسلكها المتجادلون في بحثهم — وما الخطابة وما اقسامها من سياسية وقضائية ودينية وكيف نكوّن الخطيب ؟ الخ ·

لا نرى في كتبنا شيئاً من هذا الا نتفاً لا تشفي غليلاً — قد عني فيها بوصف ألفاظها اكثر مما يعنى بموضوعها ·

والحق ان هذه الموضوعات وأمثالها ومقدماتها هي التي اذا عني بدراستها ووضعت أمام الناشئ نماذج منها مختارة وكلف بعدُ بان يحذو حذوها أنتجت البلغاء حقاً ·

وعلم اللغة — اللغة كما نعلم — أداة يعبر بها الانسان عن غرضه يستخدمها الصانع والمعلم والسامر وكل ذي غرض في تفهيم مايريد الى الآخرين فهي خادم للانسان وليس الانسان خادماً لها فيجب ان تسايره في الحياة فتكون ضيقة بسيطة اذا كانت معيشته ضيقة بسيطة وكلما اتسع الانسان في شؤونه وجب ان تتسع ايضاً وتنمو ·

هذه مسألة بديهية تخضع لها كل اللغات ومنها اللغة العربية ·

كانت حياة العرب في الجاهلية حياة بدوية ، حاجاتهم قليلة ووسائل معيشتهم بسيطة ، ليسوا في حاجة الى أدوات صناعية كثيرة دقيقة كالتي تتطلبها مدنيتنا

وليسوا في حاجة الى مصطلحات علمية في ضروب العلم المختلفة لانه ليس لديهم علم ، فطبيعي ان تكون اللغة العربية اذ ذاك فقيرة في مصطلحات العلوم فقيرة في أدوات الحرف فقيرة في أدوات الزينة والترف فقيرة في كل شأن من شؤون المدنية العالية — وكانت معيشتهم تعتمد في كثير من نواحيها على الإبل في مأكلهم وفي ملبسهم وفي مشربهم وفي ركوبهم فكان طبيعياً ان تكون لغتهم غنية في كل ما يتعلق بالابل فكثرت اسماؤها واسماء أجزائها حتى استطاع بعض علماء اللغة ان يضعوا للإبل كتباً خاصة ليس فيها الا الإبل وما يتصل بها ، وكانت حياة الجاهلية حياة حروب دائمة بين القبائل فكان طبيعياً ان تكون لغتهم غنية بأسماء أدوات الحروب من سيف ونصل وسهام ورماح ونحوها وان يكون لكل شيء من هذه اسماء عدة وان تكون عقولهم مملوءة بالمعاني التي تستتبعها الحروب وان تكون لغتهم مستعدة للتعبير عما يجول باذهانهم من تلك المعاني ٠

وعلى هذا نستطيع ان نتعرف في اي المواضع كانت اللغة العربية غنية وفي ايها كانت فقيرة — ان سكان الواحات والصحراوات التي تبعد عن الشاطيء ولا تجري فيها أنهار لا يعرفون السمك وليسوا في حاجة ان يضعوا له اسماً ولا هم في حاجة الى ان يضعوا لأنواعه العديدة أسماء وسكان السواحل في أشد الحاجة الى ذلك وليسوا في حاجة الى معرفة اسماء لما ينبت من الكلاء والعشب وما تخرج الصحراء ٠

فلما تحضر العرب بعد الاسلام واختلطوا بالفرس والروم واحتلوا كثيراً من بلادهم رأوا من أدوات الزينة والترف مالم يكونوا قد رأوا ، ورأوا من الحرف الدقيقة والفنون الجميلة ما لم يعهدوه كما رأوا من أنواع تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يكن يخطر لهم على بال وفوق ذلك تطلبت الحضارة معاني جديدة وعلوماً جديدة ومصطلحات جديدة ورأوا انفسهم مضطرين للتعبير عنها — أصبحت هذه الاشياء ملكاً لهم فلا بد ان تستخدم اللغة في التعبير عنها فساروا بلغتهم مع مقتضيات الاحوال — توسعوا في مدلولات بعض الكلمات كحكومة وديوان وعربوا الكلمات الاعجمية احياناً واشتقوا ونحتوا أحياناً فأصبحوا ولغتهم البدوية تفي بحاجاتهم الحضرية وصار من موسيقاهم

العود والقانون والبربط ومن مأكولهم الفالوذج والسكباج وزينت بيوتهم بالفسيفساء والقاشاني .

ثم جمدوا وسدوا باب الاجتهاد في اللغة كما سدوه في التشريع فلم يبيحوا لانفسهم ان يضعوا كلمة جديدة ولا ان يغيروا معنى ولا ان يتوسعوا في مدلول كلمة .

زادت حضارتنا عما كانت عليه في عهد الدولة العباسية فالمدنية الحديثة قد غمرت العالم بالمخترعات والآلات والأدوات وغيرت نوع المعيشة لدرجة كبيرة والعلوم تقدمت وتفرعت ووضعت لكل دقيقة منها في اللغات الاجنبية اسماء خاصة بها .

فاذا نحن ألقينا بنظرة الى اللغة العربيـة وبنظرة الى هذه العلوم والأدوات والمخترعات وجدنا ان ثوب اللغة غير متناسب مع حالتنـا فهو ثوب واسع فضفاض في بعض أجزائه وضيق او معدوم في بعض أجزائه فالخمسون اسماً التي للاسد لسنا الآن في حاجة كلها اليها ولسنا محتاجين من الثمانين اسماً للعسل الا الى بضعة اسماء والطبيب والفيلسوف والكيماوي وكل عالم الآن لا يجد في اللغة العربية حاجته وقل مثل ذلك في النجار والحداد والأديب في حديثه والرجل في عمله والمرأة في شؤونها .

فنحن بين اثنتين اما ان نقدس ماقاله العرب ونقف عنده ولا نسمح لانفسنا بوضع جديد وحينئذ يجب ان تكون اللغة العربية لغة أثرية كاللاتينية والعبرية واما ان نريد ان تكون لغة حية وحينئذ يجب ان تخضع لقوانين الحياة فتنمو وتتجدد وتساير حياة الناس وهذا الأخير هو ما ينبغي ان يكون .

فالمعاجم العربية كلها غير صالحة لهذا الزمن لامور :

(١) كثيرة ما فيها من كلمات ميتة لا تستعمل وامتلاء المعاجم بهـا يشتت ذهن الباحث و يعوقه عن تحصيل ما هو ضروري ومستعمل والأولى ان تكون هناك معاجم كهذه حاوية لكل الكلمات ولكنها تكون للخاصة يرجعون اليهـا عند الحاجة فقط . اما المعاجم التعليمية والتي تكون في يد الكافة فيقتصر فيها على الكلمات الحية المستعملة .

(٢) انها لا تساير العلم الحديث و يجب ان تكون كذلك فاذا عرضت كلمة كسوف او خسوف مثلاً وجب ان نشرحها بآخر رأي دوّنه علم الهيأة واذا عرضت كلمة الاهرام شرحناها حسب مايقول علماء التاريخ المصري واذا عرض نبات او حيوان

وجب ان نعرف الاسم المقابل له علمياً ونشرحه بذكر فصيلته ومميزاته حسب ما يرشد اليه عالم النبات والحيوان وهكذا .

(٣) قصورها — كما قلنا — في كثير من الاشياء فليست فيها المصطلحات العلمية الحديثة ولا حاجات المدنية الحديثة ولا المخترعات والمستكشفات الحديثة .

والواجب ان يكون هذا كله بيد مجمع عربي مؤلف من خيرة المتعلمين في الامم الشرقية جميعها وان يكون رسمياً تعترف به الحكومات وتمده بالمال وان تعطى له سلطة وضع الكلمات للاصطلاحات العلمية وما نحن في حاجة اليه ثم تلزم الهيئات العلمية باستعمال الكلمات التي يضعها هذا المجمع والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

القاهرة : احمد امين
رئيس لجنة التأليف والترجمة
والنشر والمدرس بالجامعة
المصرية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموازنة

بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران

— او —

بين ابي العلاء المعري ودانتي شاعر الطليان

= ٢ =

ووقع منذ سنة ١٣٠٠ حتى سنة ١٣٠٣ اختلافات سياسية في مدينة فلورنسا عقبها اضطراب وثورات اهلية ، نُفي في إثرها دانتي في جملة ستمائة رجل من مواطنيه، حُكم على كثير منهم بالقتل .

وعقب هذه الحادثات كان يتنقل شريداً من مدينة الى أخرى لايملك نقيراً وهو يترقب العودة الى وطنه ترقب الصائم هلال العيد ، وقد أُتيح له اول ملجأ لجأ اليه عند رجل من كبراء لمبارديا ، ثم انتقل الى مدينة بادوا ووجد له عملاً عند احد أمرائها ، اما رحيله الى باريس فأكثر المنقبين على انه في نحو تلك المدة اي سنة ١٣١٠ ومنذ ذلك التاريخ نزع عن السياسة كما يرى الناقد في تتبع أغنياته لذلك العهد ، وأقلع عن الطعن في وطنه ، بعد ان كان يهجو من حكم في نفيه عنه ويحنّ اليه اشد الحنين ، والسبب في ذلك انه كان مشتغلاً يومئذ بالمطالعة والدرس المتواصلين، وقد ساعده على التفرغ لهما اكتسابه عطف وصداقة احد العظماء ، ثم حدث في ذلك التاريخ من الأحداث السياسية ما أنعش فؤاد دانتي وجدّد في نفسه أمل العودة الى وطنه ؛ ولكن لم يكد يهب نسيم ذلك الأمل ، حتى جرت الرياح بما أبدل منه الرجاء بالخيبة وقطع أوصال تلك الآمال ، فاستعاذ باليأس فأوحى اليه قصيدة هجا بها وطنه وسكانه وتوعدهم بنقمة امبراطور المانيا هنري السابع وشفعها بثانية حرّض بها الامبراطور على اكتساح فلورنسا ؛ واستنزل صواعق غضبه عليها وعلى من فيها قتلاً ونفياً وتعذيباً . غير ان الامبراطور ارتد عنها بالفشل ومات على أثر جراحه حزيناً غريباً ؛ فرشقت حكومة فلورنسا دانتي وأولاده بحكم القتل جواباً على قصيدتيه .

وراح بعد ذلك ينتقل من بلد الى بلد ، وهو يتجلد على مضض البلاء ، وهل يدفع البلاء تجلّدٌ او تجلّد ، حتى دعاه احد علماء النحو من مدينة بولونيا للقدوم اليها — سنة ١٣١٨ — ليعقد على رأسه الاكليل الشعري ، ولكنه كان يتمنى ان يناله في وطنه فلم يُقسَم له ذلك اذ قضى في الرابع عشر من شهر ايلول للسنة الحادية والعشرين بعد الثلاثمائة والالف في بلدة رافين وهو في السادسة والخمسين من العمر.

هذا مجمل ما وقف عليه المؤرخون ، وأثبته المحققون والنقادون ، من ترجمة هذا الشاعر الكبير ، وهي ادنى ان تكون قصة قائد جيش او وزير ، طمح ببصره الى الرئاسة ، وجنحت به نفسه الى منازع السياسة ، بل تاقت الى التشبه بالاولياء ، ومحاكاة الفلاسفة والانبياء — وسنورد بعد هذا ما يؤيد قولنا — ٠

على انه وان عُدَّ أشعر شعراء الطليان ، فلم يكن مبتدعاً بل كان في كل ما كتبه مطرّساً على آثار السلف ، طابعاً معانيه على غرار من تقدمه ، وانما عُدَّ أشعر شعرائهم ، لانهم لم يكونوا ينظمون الشعر العالي الطبقة عندهم الا باللاتينية ٠

وكان اول مانظمه الاغانيّ وذلك باللغة الطليانية ، وهي لمهده اللغة العامية في توسكانا ولومبارديا وسائر شيشيليا ، وكانت الاغاني في القرن الثالث عشر عندهم أحب شعر لدى جماعات الاكابر وكانوا يعدّونها أسمى أنواع الشعر ، وكانت طريقتهم في الغزليات شبيهة بغزل المتصوفة عند العرب الا انهم كانوا يصرّحون بروحانية المحبوب وقدسيته ، فكان شعر الصوفيين عندنا في صفة المحبوب وصفاً لبس من ثياب الغرام البشري جلبابا ، واتخذ له من ستور الظنون و براقع الخيال حجابا ، وهو أفعل في النفوس وأحب الى القلوب وأطرب في المسامع من شعرهم ذلك المصبوغ بصبغة العبادة ، بل هو لحن ديني لا يطرق السمع حتى تحسَب نفسك قائماً في احدى الكنائس بين الشموع والمباخر والبرانس والقلانس ٠ واليك تعريب بيت لشاعر من معاصري دانتي : « أيها الوجه الملكي الآتي من السماء لنشر السلام ، ومن طبع عليه آلهة الحب كل فضيلة ٠

وكانوا يقسمون العشق الى مراتب و يطرقون في وصفه أبواب الفلسفة وغيرها

من العلوم ، وينحون في تبويبه وتقسيمه نحو الالفيات النحوية عندنا وغيرها من الأراجيز العلمية .

وكانت أغاني دانتي في اول امره غزلية اي مصبوغة بصبغة العشق البشري ، ثم نحا تدريجاً نحو التعبد ، وشرح بكتيب نثري أغانيه ، فكان شرحه هذا ألغازاً ومعميات مغلقة ، بيد انه نال به شهرة لم ينلها بكل أناشيده ، وليس ذلك بالمستغرب بين قوم لم تختمر فيهم ملكة المعارف ، وعدد أدعياء الادب أضعاف العدد الضعيف من الراسخين في العلم ، فكم بيننا من يتفاصح اليوم بامثال : أمررت مخصرتي ، واستنض القريحة ، وارتمض القلب ، وحبذوه وحبذناه ، وغضب الطبيعة الحانقة ، الى مئات من أمثال هذا الهذيان والخطأ الفاحش وكم بيننا من يقلد هؤلاء ومن يتمنى ان يكتب على هذا المثال المعمى المبهم المخلوط اي ان يكتب ما لا يفهمه هو نفسه ولا يستطيع وصفه وتعبيره ، وانما هو عاشق التخييل او الوهم او المجاز مفهوماً او غير مفهوم ، ولكنه يفضل غير المفهوم على سواه وهو لا يدري سبب هذا التفضيل ، وهذا سر آخر من أسرار هؤلاء المؤلفين والكتبة وأشياعهم ، وقد كدنا نحيد عن موضوع كلامنا .

وترتسم الصنعة على شعر دانتي الغزلي كله حتى يُرى انه يتعمد التلبس بلباس الهائمين كل الهيام ، ولهذا قال كثير من ناقدي شعره انه كان يحتذي طريقة بعض الشعراء المشهورين بعهده او من تقدمهم وانه لم يلج العشق فؤاده ولعل هذا الحكم جائر . ونحن في نقدنا هذا لا نروم ان ننظر في كل ما قالوه نقادوه ، بل نحن في نقدنا وموازنتنا هذه نقول ما لم يقولوه ، وهو احتذاء أسلوب شاعرنا المعري في رسالة الغفران ، بل سرقة موضوعه وتخلفه عنه في السمو والبيان .

وقد بسطنا قبيل هذا شأن رواج العلوم وانبساط المعارف عند العرب في الشرق والغرب قبل مولد دانتي وما قاله مؤرخو الفرنج أنفسهم عن كثافة سحب الجهل عندهم في تلك القرون ، وان من كان يريد التعمق في العلوم عندهم ، كان يحتم عليه ان يقصد مدرسة قرطبة فلا عجب بعد هذه الشهادة ، اذا ما قصدها دانتي ودرس العربية فيها ، وان كان لم يقل بذلك احد من مترجميه ، اذ جميع الذين ترجموه نقلوا عن بوكاجه وهذا لم يعلم من امر دانتي شيئاً الابعد وفاته في هجرته بسنين كثيرة اذ كان منتهى بحثه عن أحواله في زوايا دور الكتب

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ودكاكين بيعها ، وسؤال من كان حيًا من عارفيه بعد وفاته بثلاثين سنة على الاقل ، ومثل هذا البحث في مثل ذلك العصر لا يعوّل كثيراً عليه عند الناقد النزيه ٠

وهب انه لم يدرس العربية — وهو ما لنا عليه غير ما تقدم من الادلة في سرقة رسالة الغفران — اما أوضحنا كيف كانت تُترجم كتب العلوم وآدابها من العربية الى اللاتينية بشهادة مؤرخي تلك القرون ؟ فهل يعقل ان دانتي لم يقف على كثير من تلك الكتب ومن جملتها هذه الرسالة الشعرية وهو أشعر شعراء الطليان ٠

اما الأُلعوبة فهي الملحمة التي اشتغل بتأليفها كل المدة الأخيرة من حياته ، وقد ابتدأ بنظمها فيما ظهر للمحققين نحو سنة ١٣١٠ وقد يكون نظم كثيراً منها قبل ذلك التاريخ ، وهو لم يسمها الأُلعوبة الالهية ، بل الالعوبة وانما نعتها بالالهية كان بعد موته ، ولا أدري من هو اول من نعتها بالالهية ٠

وأقبل دانتي على دراسة اكثر علوم عصره ، ولاسيما الفلسفة الا انه جعل فلسفته خاضعة لعلم اللاهوت او مزيجاً منه ، او هي علم الكلام عند الاسلام ، وكان متشبعاً من قراءة التوراة وغيرها من كتب الدين ، وكان كثير العصبية للغته الطليانية ، شديد التحمس في دينه قوي الاعتصام به حتى انك قل ان تجد قصيدة من شعره في الأُلعوبة الالهية ليس عليها مسحة من لهجة أنبياء اليهود في أسفار التوراة ، ولهذا قلنا فيما تقدم انه كان ينحو الى محاكاة الانبياء ، واليك قوله في بعضها اذ هو في المطهر يخاطب وطنه بلدة فلورنسا — في الأُغنية السادسة — ٠

« كم من مرة منذ العهد الذي تعلمينه ، بدلت كل التبديل شرائعك ودراهمك ومذاهبك وعاداتك ، انك لتذكرين ذلك حق التذكر ، ولست عمياء وستجدين ذاتك كتلك المريضة التي لم تكن تجد راحة الا بالاها في تقلبها على جراحها ٠٠ » ودونك قول السيد المسيح :

« اورشليم اورشليم يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها ، كم من مرة أردتُ ان أجمع اولادك فيك كما تجمع الدجاجة فراخها ٠ » ومثل ذلك قول أرميا وأشعيا قبله ٠

ويفتتح اغنيته الاولى من السماء هكذا :

« المجد لمحرك الأشياء كلها ، من يملأ الاكوان وينير بعضها على درجات متفاوتة .
« في السماء التي تنال اعظم نصيب من نوره ، كنت وعاينت اشياء لا يستطيع ان يعيدها النازل من فوق . »

اما هذه لهجة انبياء اليهود ? ولا عجب في ذلك فان غرض دانتي من تأليف الالعوبة — كما صرح هو بذلك — « ان ينتزع الاحياء من تعاستهم في هذه الحياة وان يقودهم الى السعادة الخالدة » وقد ضمنها من الآراء العلمية والمعتقدات الدينية والمذاهب الفلسفية ، والحوادث التاريخية ، وأحوال المجتمع لعصره في قطره ، ماخلد اسمه في تاريخ الامم الغربية حتى عدّوه أشعر شعراء الطليان ، واحد افراد شعراء الدنيا ، غير انه لم يسلم من ايدي النقاد . ولا بدع فالكمال لم يقسم لاحد من البشر الى يومنا هذا ، ولو شئنا ان ننتقد ما ضرب عنه صفحاً كثير من نقاديه لطال بنا مجال القول . ولا سيما اننا لا نتعرض في هذه الرسالة الا للموازنة بين الالعوبة الالهية ورسالة الغفران وبين صاحبيهما من حيث الحياة العلمية والاخلاق ومكانهما في المجتمع الانساني بل في وطنيهما وبين قوميهما لعصريهما .

وحسبك ان تعلم انه استعان في هبوطه الى جهنم وفي معراجه على المطهر بروح فيرجيل شاعر اللاتين وهو في مذهبه من اهل النار لانه كان وثنياً كما تعلم ، بل كان يدعوه بيا أبتِ و يا ابي الحبيب ، و يامعلمي و يامرشدي الحكيم . و يسأله إلهامه الثبات والصبر والشجاعة ، والعقل والفصاحة . ولا يخفى ما في ذلك من التناقض ، اذ كيف يجوز له وهو النصراني الكاثوليكي المتحمس الى اقصى التحمس الديني ، ان يصاحب و يستمين و يسترشد بروح ملعونة خبيثة هي روح فيرجيل الوثني التي قُضي عليها في اعتقاده ان تخلد في عذاب النار ، وان ينادي صاحبها ياابي و يامرشدي ، وان تصعد معه في معراجه على المطهر ، وهو مكان الابرار الصالحين يمكثون فيه كما هو معلوم برهة من الدهر ريثما يتطهرون فيه من الأوزار ، وكيف وفق في منطقه بين تلك المقدمة وهذه النتيجة ? .

على ان دانتي لم يكن مبتكراً كما ذكرنا غير مرة وكما أجمع رأي النقادين البصيرين في كتاباته ، بل كان التقليد سجية من سجاياه ولذلك تراه يسمي كوبدي كونيجيلي

المشترع من اهالي بولونيا ابي ايضاً وهو سابقه في الطريقة التي دعيت لعصره بالانشاء الحلو الجديد ومثل ذلك يدعو فيرجيل اباه ، يريد بذلك ان يسميه أهل عصره خلف فيرجيل ، لشهرته البعيدة في الشعر اللاتيني ، ولشعره هو في الانشاء الحلو الجديد كما كانت تسمى يومئذ اللغة الطليانية .

وقد يقال انه كرر كثيراً قراءة سفر الرؤيا المعروف برؤيا يوحنا ورغب في محاكاته ، ولكن ينفي هذا القول ما تحقق من صلابته في دينه وذهابه فيه الى أقصى حدود الغلو ، فلا يُعقل انه يتحرى محاكاة سفر من اسفار التوراة او الانجيل .

وزعم بعض شراحه ومنتقديه (ولا علم لهؤلاء برسالة الغفران بل ولا باسم ابي العلاء) ان الروايات كانت شائعة في تلك الأقطار لعهد دانتي عن عروج بعض القديسين في الاعصر الاولى للمسيحية على السماء او اختطافهم وهبوط بعض منهم الى جهنم ، وكلها من الخرافات الموضوعة التي كان يتناقلها السذج والعجائز البله في اول شيوعها للتيمن والإرهاب ، ثم مابرحت تتجسم منذ القرن الثامن قرناً فقرناً ، حتى بلغت في القرن الثالث عشر من جسامة الوصف والإرهاب والتهويل عن العذابات التي تصيب اهل الجحيم ما لا يحيط به واصف ، وان هذا مادعا دانتي الى نظم أعجوبته . وقد يكون في ذلك شيء من الحقيقة لما اطال في جحيمه من وصف التعذيب فألهب دماغه باختراع وحوش وأفاعٍ وصنوف نيران قاتمة مظلمة سامّة واهوية نارية جليدية الى مالم يسبقه اليه سابق وقد لايلحقه لاحق . الا ان احتذاء اولئك الراوين والمؤلفين يقف به عند هذا الحد من وصف مشاهدة العذاب والغبطة ، اذ ليس فيه سوى روايات عما عاين اولئك المزعوم صلاحهم في السماء او جهنم ، وليس فيه تخييل شعري ولا سيما في جهنم ووصف العذاب والنيران مما تستك من سمعه الآذان . وان ما تناقله الناس في اي قطر من الأقطار حتى يمسي مبتذلاً ترويه عجائز الحي ، ليس بالذي يُتهافت على نظمه شعراً . ولاسيما اذا لم ينطو على حكمة ينظمها الشاعر بلفظ انيق ، او وصف شيء من مظاهر الطبيعة او غيرها مما تنبسط له النفس كالحسن والغرام . واما وصف الفردوس بما لايخرج عن ماذكرته كتب الأديان وبما روي عن بولس الرسول او بما ذكره يوحنا في رؤياه وبما روي عن غيرهما على مر ثلاثة عشر قرناً الى عصر دانتي ، كل

ذلك لم يبق وصفاً لواصف على ذلك النحو او زيادة لمستزيد ، فما عسى ان يقول دانتي بعدهم او يجيد ؟ ٠

فاذا أنعم الناقد النظر فيما بسطناه لم يربداً من القول معنا بان دانتي قرأ رسالة الغفران العربية اوترجمتها ورأى ان يقلدها على سجيته ولاسيما ان قرأ العربية بل اللاتينية نفسها لم يكونوا لعهده الا جماعة قليلة العدد ، واقل منهم من كان يقرأ الكتب المترجمة عن العربية او العبرية ٠

وليس قصدنا بهذه الموازنة الحط من قدر دانتي ببيان سرقته الموضوع من شاعرنا المعري ، فقد سرق الشعراء قبل دانتي وبعده وسيسرقون الى يوم الدين ٠ وهو نفسه لم يكن مبتكراً كما ذكرنا غير مرة ، بل لنُعلِم نفراً يجهلون مدى آداب لغتنا ويكفرون بعلمائنا ٠ ان انفس ماخلدته العبقرية من الصناعات الجميلة وهو الألعوبة الالهية التي يفاخر بها ثمانون مليوناً من البشر او يزيدون بل قل اوربا باسرها ولانخف غلواً في إضافة اميركا اليها او كثر اليابان وحسبك ما فعلوه يوم اليوبيل العظيم لمرور ستمائة سنة على وفاة مؤلفها دانتي واعترافهم بالاجماع انه ثالث شعراء الدنيا منذ خلق الناس خلا شعراء العرب ، اذ لم نجد للامم الفرنجية الى اليوم من استطاع ان يقدر الشعر العربي حق قدره من سائر المستشرقين ولا من نظم بيتاً بالعربية ٠ فهم اذا تكلموا عن الشعر والشعراء كان كلامهم عن اللغات اليونانية واللاتينية والسكسونية وسائر لغات اوربا ، وان قالوا عامة ، اللغات او عموم الامم ، نقول ان اعترافهم بتلك العبقرية وتفاخرهم بالالعوبة الالهية يعود بالحقيقة للمبدع المبتكر الحقيقي وهو ابو العلاء المعري صاحب رسالة الغفران واليك الدلائل والبراهين الآتية ٠

(للبحث صلة)

قسطاكي الحمصي

قانون البلاغة

— ٧ —

واما الاستطراد فهو ان يأخذ الشاعر في صفة يجعلها طريقة الى ما يريده من مدح او هجاء وغير ذلك ، ولا يزال فيما ركبه لا يزال عنه ، ولا ينتقل منه ، حتى يثني عنانه الى غرضه ، ويعطف قوله الى مقصده ، بعد ان يكون في الكلام الاول دلالة على ان المقصد غير ما عطف عليه ، فحينئذ يكون استطراداً فمنه قول حسان :

(ان كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام)
(ترك الأحبة ان يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّة[1] ولجام)

وكقول البحتري :

(ما ان يعاف قذىً وان أوردته يوماً خلائق حمدوِ به الأحول)

وكقول ابي الشمقمق :

(واحببت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلْم سعيدا)
(اذا سيل عرفاً كسا وجهه ثياباً من اللوم صفراً وسودا[2])

وكقول حاتم :

(ان كنت كارهة لعيشتنا هاتا فحلي في بني بدر)

واما التكرار فكقول عبيد :

(هلاّ سألت جموع كنـ ـدة يوم ولوا اين اينا)

وكقول الآخر :

(وكانت فزارة تصلى بنا فأولى فزارة اولى فزارة)

واما الاستثناء فانه يوجب بلاغة بيان واول من اخترعه النابغة بقوله :

(ولا عيب فيه غير ان سيوفه بهنّ فلول من قراع الكتائب)

فهذا تأكيد للمدح بما يشبه الذم ، وقال الجعدي :

---

(١) الطمرّة مؤنث الطمرّ وهو الفرس الجواد او هو المستعد للوثب والعدو .

(٢) في رواية : بيضاً وسودا .

(فتى كملت خيراته غير انه جواد فما يبقي من المال باقيا)

واما التصحيف فكقول البحتري :

(ولم يكن المغتر بالله اذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه)

وقوله : (وكأن الشليل والنثرة الحصداء منه على سليل غريف)

واما براعة الاستهلال فهي من ضروب الصنعة التي يقدمها امراء الكلام ، ونقاد الشعر ، وجهابذة الألفاظ ، فينبغي للشاعر اذا ابتدأ قصيدة مدحاً او ذماً او فخراً او وصفاً او غير ذلك من افانين الشعر ، ابتدأها بما يدل على غرضه فيها ، وكذلك الخطيب اذا ارتجل كل خطبة ، والبليغ اذا افتتح رسالة ، فمن سبله ان يكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه ، واوله ملخصاً بآخره ، وينبغي له ان لا يبتدئ المدح بشيء من التشبيب يتطير منه ويستجفى من كلامه ، وينبو عنه السمع ، وينبذه الطبع ، ويجتنب مثل قول ذي الرمة : (ما بال عينك منها الماء ينسكب)

فقد بلغني ان بعض خلفاء بني أمية استنشده شيئاً من شعره فأنشده هذه القصيدة فزيد في فيه وأسكته . ودخل الأخطل على معاوية فقال : اني مدحتك فاسمع فقال : ان انت شبهتني بالحية والصقر فلا حاجة لي فيه ، وان كنت قلت كما قالت الخنساء في اخيها :

(ولا بلغت كف امرئ متناولاً من المجد الا والذي نلت أطول)
(وما بلغ المهدون للناس مدحة وان أطنبوا الا الذي فيك أفضل)

فهات فأنشد الأخطل :

(اذا مت مات الجود وانقطع الندى ولم يبق الا من قليل مصرّد)

فقال له معاوية ما زدت على ان نعيت اليّ نفسي . وأنشد الجعدي بعض الملوك قصيدته التي يقول فيها :

(بقيت أناساً فأفنيتهم وافنيت بعد أناس أناسا)

فقال له : ذاك من فرط شؤمك ، وأنشد البحتري يوسف بن محمد الثغري قصيدة اولها :

(لك الويل من ليل تقاصر آخره) . فقال له : الويل والحرب لك)

فمن سبيل الشاعر المتوقد ، الهاجس الواري الزناد ، ان يكون هجاؤه اذا هجا ، واستبطاؤه اذا استبطأ ، وتهنيته اذا هنا ، وتعزيته اذا عزّى او رثى ، او وصف على حسب مايقتضيه ذلك الموصوف ، وتوجبه تلك الحال . وان لا يضع كلامه في غير مواضعه ، وان يفتتح كل قصيدة بما يناسبها و يبتدئها بما يشير الى المعنى المقصود فيها ، فان البحتري لو كان هاجياً لكان قوله (لك الويل) في غاية الجودة ، لان كل صنف من صنوف القول يقتضي نوعاً من الابتداء وضرباً من الافتتاح لا يصلح لغيره : وانما جعل الابتداء بالنسيب سبباً الى المدح وسلّماً اليه ، ليحسن الممدوح الاصغاء الى ما في التشبيب من وصف النزاع والصبابة ، وذكر الوجد والغرام ، اذ كانت النفوس مجبولة على استحسان الغزل والنسيب ، فلا يكاد يخلو احد من ان يكون ضارباً فيه بسهم ، وآخذاً منه بنصيب ، فاذا انتهى الشاعر الى المدح ، ورد على نفس مجتمعة ، وجأش ساكن ، وقريحة صيّبة ، وسمع غير مُقسّم ، فحسُن موقعه ولطُف موضعه وشرُف مسمعه واستوفاه الممدوح ولم يله عنه . فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب ، وعدّل الاقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ، ولم يطل فيملّ السامعين ، ولم يقطع وبالنفوس ظمأ الى المزيد .

ومن سبيل الشاعر ايضاً ان يجتنب تسمية من يشبب به ، فربما وافق ذلك الاسم اسم من يكره الممدوح ذكره ، وان اضطر الى تسمية من شبب به اختار أعذب الاسماء وأحلاها موقعاً في السمع ، واجتنب التشبيب بالاسم المستكره كقول جرير :

(وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع)

واما براعة التخلص فانّ من حكم التشبيب ان يكون ممتزجاً بما بعده من مدح اوهجاء وغيرهما ، وغير منفصل منه ، فانّ القصيدة مثلها مثل الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فمتى انفصل واحد عن الآخر بطل الجسم ، وحذاق الشعراء لا يفصلون بينهما ، بل يصلون الاول بالآخر حتى تراه كالرسالة والخطبة لا ينقطع جزء من جزء . كقول مسلم :

(أجدك هل تدرين ان رب ليلة كأن دجاها من قرونك تنشر)
(نصبت لها حتى تجلّت بغرّة كغرة يحيى حين يذكر جعفر)

وكقول محمد بن وهب :

(ما زال تلثمني مراشفه ويعلني الابريق والقدح)
(حتى استرد الليل خلعتـه وبدا خلال سواده وضح)
(وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح)

وكقول البحتري :

(اقلِّ واكثر لست تبلغ غايةً من الجود الا ان تضارع هيثما)

وكقوله : (ولوانني أعطيت فيهن المنى لسقيتهن بكف ابراهيما)

واما الترديد فهو ان يعلّق الشاعر لفظةً في البيت بمعنىً ثم يردّها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كما قال زهير :

(من يلق يوماً على علاّته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا)

وكقال: (واحفظ مالي في الحقوق وانه لجمٌ وان الدهر جمٌ نوائبه)

وهذا من أحسن كلام وأجزله وقال ابو نواس :

(صفراء لاتنزل الأحزان ساحتها لو مسّها حجرٌ مسته سرّاء)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال ابن جبلة :

(مضطرب يرتجّ من أقطاره كالماء جالت فيه ريح فاضطرب)
(اذا تظنيتـا به صدّقنـا وان تظنى فوته العير كذب)
(لا يبلغ الجهـد به راكبـه ويبلغ الرمح به حيث طلب)

وقد يسمى التعطف ايضاً . واما (التتميم) فهو ان يأخذ الشاعر في معنىً ، فيورده غير مشروح ، فيقع له ان السامع لا يتصوّره بحقيقته ، فيعود راجعاً الى ما قدّمه فإما ان يؤكده وإما ان يجلي الشبهة فيه كما قال :

(أقمنا أكلُنا أكل استلابٍ هناك وشُربُنا شُرْبٌ بدار)

ثم علم انه لم يتم المعنى وانه لبّسه فقال :

(ولم يك ذاك سُخفاً غير اني رأيت الثوب [1] تستخفهم الوقار)

---

(١) لعل صوابه (الشرب) وهو جماعة الشاربين .

وقال ابن الرومي :

(آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات اذا دجون نجوم)
(منها معالم للهدي ومصابح تجلو الدجى والأخريات رجوم)

واما جمع المؤتلفة والمختلفة في بيت فكقول امرئ القيس :

(سماحة ذا وبرّ ذا ووفاء ذا ونائل ذا اذا صحى واذا سكر)

و يقال انه لم يجمع واحد في بيت واحد جماعة اشياء قبله واما التبيين فكقول الفرزدق :

(لقد خنت قوماً لو تساق اليهم طريد دم اوحاملاً ثقل مغرم)

فلو اقتصر على هذا البيت لكان جيداً ، ودخل في باب ماحذف جوابه ، فلما احتاج الى تبيينه بينه فقال :

(لألفيت فيهم معطياً ومطاعناً وراءك شزراً بالوشيج المقوّم)

فبيّن قوله (حاملاً ثقل مغرم) بقوله (لألفيت فيهم معطياً) وقوله (طريد دم) بقوله (ومطاعناً بالوشيج المقوّم) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واما المذهب الكلامي فكقول النابغة :

(ولكنني كنت امرءاً ليَ جانب من الارض فيه مستراد ومذهب)
(ملوك وإخوان اذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب)
(كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في مثل ذلك أذنبوا)

يقول لاتلني في مدحي آل جفنة فقد احسنوا اليَّ ، كما لو احسنت الى قوم فشكروا لك ، لم تر ذلك ذنباً ، وهذه طريقة الجدل وانما اتفق له بجودة القريحة وفضل التمييز .

واما التفويف فانما سمي التفويف تشبيهاً بالبرد المفوّف ، وهو الذي يخالط وشيه شيء من بياض ، والفوف بياض يكون على الاظفار سمي البرد مفوفاً به . وهذا النوع من الشعر هو ان يسهل له مخارج الحروف ، ويرف منه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة ، وان يكون ظاهر المعنى لايحتاج الى إعمال الفكر في استنباط معانيه ، وان كان خالياً من جميع الاوصاف التي تقدمت وتأخرت عنها ، كما قال جرير :

(هم الاحبار منسكة وهدياً وفي الهيجا كأنهم صقور)

(بهم حدب الكرام على المعالي وفيهم عن مساءتهم فتور)
خلائق بعضهم فيها كبعض يؤمّ كبيرهم فيها الصغير)
(عن النكراء كلهم غبيّ وبالمعروف كلهم بصير)

وكما قال مروان بن ابي حفصة :

(بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لها في غيل خفّان أشبل)
(هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل)
(هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا أجابوا وان أعطوا اطابوا وأجزلوا)

وكما قال ابراهيم بن العباس :

(تطلّع من نفسي اليك نوازع عوارف ان اليأس منك نصيبها)
(حلال لليلى ان تروع فؤادنا بهجر ومغفور لليلى ذنوبها)
(وزالت زوال الشمس عن مستقرها فمن مخبري في اي ارض غروبها)

واما (التفريع) فهو ان يأخذ الشاعر في وصف من الاوصاف فيقول ما كذا ... فينعت شيئاً من الاشياء نعتاً حسناً ثم يقول — بأفعل من كذا ، كما قال الاعشى :

(ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل)
(يضاحك الشمس منها كوكب[1] شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل)
(يوماً — بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها اذ دنا الأصل)

وقال عبد بني الحسحاس :

(وما بيضة بات الظليم يحفها ويرفع منها جؤجؤاً متجافيا)
(ويرفع عنها وهي بيضاء طله و... قرناً من الشمس ضاحيا)
(ويجعلها بين الجناح ودفّها ويلحفها زفّاً من الريش وافيا)
(— بأحسن منها يوم قالت أرائح مع الركب ام ثاوٍ لدينا لياليا)

وهذا الباب كثير في أشعارهم .

واما (التسميط) فهو اعتياد الشاعر تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع

(١) الكوكب نور الروضة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

او شبه به ، او من جنس واحد في التصريف والتمثيل ، وانما سمي تسميطاً تشبيهاً بالسمط في نظمه وحسن وصفه ، وهو كقول امرىء القيس :

(مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل)

فأتى باللفظتين الاولين مسجوعتين في تصريف واحد ، وجاء بالتاليتين شبيهتين بهما في التعديل والتمثيل ، والمراد من هذا ان تكون الأجزاء متوالية وان تكون مسجوعة .

واما (التصريع) فهو ان يقصد الشاعر لتصيير مقطع المصراع الاول في البيت الاول من القصيدة كمقطع المصراع الثاني ، وقد فعل ذلك المتقدمون والمحدثون حتى ان بعضهم ربما صرّع من القصيدة الابيات يدل بذلك على اقتداره وسعة بحره ، ودقة فكره ، ورحب باعه ، وتوقد زكائه ، و يدلك على ذلك قول ابي تمام :

(. . . . . وانما يروقك بيت الشعر حين يصرّع)

قال امرؤ القيس وهو أوسعهم مذهباً في هذا الباب :

(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل)

ثم قال :

(أفاطم مهلاً بعد هذا التدلل وان كنت قدأزمعت صرمي فأجملي)

ثم قال :

(الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل)

واحسن مايكون التصريع في اثناء القصيدة اذا كان الشاعر منتقلاً من وصف الى غيره .

واما (التضمين) فقد لهج جماعة من المتأخرين به واستكثروا فمنهم من يورد البيت بأسره والبيتين ومنهم من يقتصر على الأنصاف ومنهم من يأتي بالأرباع وبما دون ذلك ومنه قول الخماسي :

(وقائلة والدمع سكب مبادر وقد شرقت بالماء منها المحاجر)

(وقدابصرت حمّان[1] من بعدانسها بنا وهي منا موحشات دواثر)

(كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر)

---

(١) حمّان بكسر الحاء وتشديد الميم والف ونون محلة بالبصرة .

(فقلت لها والقلب مني كأنما   يلقبه بين الجوانح طائر)
(بلى نحن كنا أهلها فأبادنا   صروف الليالي والجدود العواثر)

وقال ابو تمام :

(فتلته مراً ثم قالت جهرة   قول الفرزدق لا بظبي أعفر)

وقال الأخطل الأهوازي :

(ولقد سما للخرّميّ فلم يقل   عند الوغاء لها نضايق مقدمي)

وقال ابو هفان :

(بل رأيت العاشقين ببابه   من بين مدعوّ به ومطفّل [1])
(لذكرت بيتاً قاله حسان في   أولاد جفنة في الزمان الاول)
(يغشون حتى لا تهرّ كلابهم   لا يسألون عن السواد المقبل)

واما (القسم) فهو ان يقسم الشاعر ، او يحلف غيره باقسام تتعلق بغرضه المقصود معتمداً بذلك الابداع فيما ينظم ، كما قال الاشتر النخعي :

(بقّيت وفري وانحرفت عن العلى   ولقيت أضيافي بوجه عبوس)
(ان لم أشنّ على ابن حرب غارة   لم تخلُ يوماً من ذهاب نفوس)

وقال ابو علي البصير :

(اكذبتُ أحسن ما يظن مؤملي   وهدمتُ ما شادته لي أسلافي)
(وعدمت عاداتي التي عودتها   قدماً من الإتلاف والإخلاف)
(وصحبت اصحابي بعرض معرض   متكدّر فيه بمال وافي)
(وغضضت من ناري ليخفى ضوؤها   وقريت عذراً كاذباً أضيافي)
(ان لم أشنّ [2] على علي حلة   تضحي قذى في أعين الأشراف)

واما الاعنات [3] فهو ان يلتزم الشاعر في القوافي ما لا يلزمه ، إبانةً عن اقتداره وتوسعه وفسحة مجال فكره ، وهذا المذهب على ضروب كثيرة قال الحطيئة :

---

(١) طفّل الرجلُ صار طفيلياً وطفّل عليه كتطفل . (٢) سن عليه الدرع صبها عليه وألبسه إياها . (٣) وهذا النوع يسمي لزوم ما لا يلزم .

(ألا من لقلبٍ عازم النظرات يقطع طول الليل بالزفرات)
(اذا ما الثريا آخر الليل أعنقت[١] كواكبه كجزع[٢] منحدرات)

فجاء بالراء في جميعها قبل حروف الردف ، وهي غير لازمة فقال حسان[٣] بن ثابت فلزم الحرف الذي بين الف التأسيس والروي وأعاده بعينه في قصيدته التي يقول فيها :

(بكل كميت صورة نصف خلقه وقب طوالٍ مشرفات الحوارك)

وقد التزم ابن الرومي في هذا مالم يلزمه فالتزم في قصائد في حرف الردف الياء دون الواو ، والواو دون الياء ، وكسر في قصائد ما قبل حرف الروي ، ولم يفتح ولم يضم ، وضم في بعضها ولم يكسر ، ولم يفتح ، وفتح في بعضها ولم يضم ولم يكسر ،

واما تجاهل العارف كقول زهير :

(وما ادري وسوف إخال ادري اقومٌ آل حصن ام نساء)

وقول الآخر :

(بالله ياظبيات القاع قلن لنا ليلاي منكن ام ليلى من البشر)

واما الهزل الذي يراد به الجد فكقول الشاعر :

(اذا ما تميمي اتاك مفاخراً فقل عدّ عن ذا كيف اكلك للضب)

(الخاتمة في الآتي)

---

(١) غابت . (٢) اي كالخرز اليماني اذا تساقط من سلكه . (٣) لامعنى هنا لحسان بن ثابت .

كتاب المنذر

— ٣ —

(صاحب سطوة واهابة) : سطوة ومهابة — اما الاهابة فهي الدعوة من اهاب به اي دعاه وزجره · (أصبحت المقاولة ملغية) : أصبحت المعاهدة ملغاة — والمقاولة هي المجادلة والمفاوضة · (صرف مصارفات واهية) بذل نفقات باهظة او كبيرة — لان الواهي هو الضعيف · (أوقف نفسه على خدمته وضحى حياته في سبيله) وقف نفسه وضحى بحياته · (ظهر الكنز المخفي) : الخفي — وزن فعيل اوالمخفى بالمجهول · (الانعكاف على العمل الذي قد يكون هو اكبر صائن من المفاسد) : العكوف مصدر عكف ويجب حذف « قد يكون » من العبارة لئلا ينقلب المعنى الى ضده ·

* * *

(أبدل الحقد بالمحبة) : عند المديح — أبدل المحبة من الحقد او بالحقد — وهذا مما يغلط به الكتاب كثيراً · (مخالف لصالح الوطن) : مخالف لمصلحة الوطن · (صادره في حريته) : عارضه — لان المصادرة هي المطالبة بإلحاف · (تسليمك زمامه) : تسليم زمامه اليك · (من الرجال الثقاة) : الثقات — بالتاء المبسوطة لانها جمع ثقة من باب الوصف بالمصدر · (يتجولون في الجبال) : يجولون — بالتخفيف وبالتشديد · (اذا قاربوا من القوم) : اذا قاربوا القوم او اقتربوا من القوم · (نطوف فوق وجه الماء) : نطفو · (عصوا على والي البلاد) : عصوا والي البلاد · (وجدته حاوياً على جميع المواد) : وجدته حاوياً المواد جميعاً او محتوياً على المواد جميعاً — لان حوى متعدٍ بنفسه · (تغيرت الماء عن عادتها) : تغير الماء عن عادته — لانه مذكر — او تغيرت المياه عن عادتها «بالجمع» · (من الفقرتين الاوليتين) : من الفقرتين الاوليين — بفتح اللام مثنى أولى ·

* * *

(من المثريين في البلاد) : المثرين بياء واحدة — والمثرون بالرفع بدون ياء ومثله المفوضون السامون والمفوضين السامين · (عجيب هو الامر الذي يطلبه) :

عجيب الامر الذي يطلبه — او الامر الذي يطلبه هو عجيب — لان « هو » ضمير الفصل يدخل بين المبتدا والخبر دفعاً للالتباس بين الخبر والصفة المعرفتين ولا يدخل بين الخبر المقدم والمبتدا المؤخر · (هذه الدعوى جنحة) : اللفظة تركية وتعربيها جناح بالضم · (يتظلمون من بهاظة الضرائب) : من بهظ او ثقل الضرائب · (الكتاب الذي بعثه) : بعث به — لانه يقال «الشخص» بعثه « والشيء » بعث به · (لمَ هذه النفقات المخصصة لهم ما زال غيرهم يقوم بوظيفتهم) : ما دام غيرهم — وكثيرون يستعملون مازال في مقام مادام في حين ان « مازال » كلها معناها « بقي » وما نافية ومعنى مادام « مدة دوامه » وما مصدرية زمنية والفرق واضح · (ان هذا العمل موجود بالاحرى في مخيلته) : ان هذا العمل في مخيلته — بحذف موجود بالاحرى · (لجنة تقوم من مندوبي الدول) : تؤلف او تعقد · (التي تعيقه عن العمل) : تعوقه — من الثلاثي الواوي · (أثبت له إخلاص طائفته) : حبذا لو استعمل الكاتب « الملة » بدل الطائفة لان الطائفة هي الجماعة لا المذهب الديني ·

***

(فهل لا يستحق ذلك) : أفلا يستحق ذلك — لان هل لا تدخل على النفي · (لا تنطلي الحيلة عليهم) لا تجوز الحيلة عليهم — لانه لم يسمع وزن انفعل من هذا الحرف · (كان تأخيره داعياً لطرده) : تأخره · (قطع جانحي الطائر) : قطع جناحي الطائر — ولم يستمع جانح بهذا المعنى · (حباً في الاختصار ذهبت اليه) : حباً للاختصار او دفعاً لطول الوقت ذهبت اليه · (الخط الحديدي الذي كان موجوداً بين طرابلس وحمص) : حذف « موجود » لان الخبر مع الظرف والمجرور متى دل على مطلق الوجود يجب حذفه · (بقيم عندهم لبينما يحضر ابوه) : ريثما يحضر او حتى يحضر ابوه — لان بينما لا تأتي بهذا المعنى ولا تدخل عليها اللام · (نخر عظامها سوسُ التفريق) : نخرت عظامها من سوس التفريق برفع عظامها على الفاعلية لان نخر لازم « نخر العظمُ » وزان علم ·

***

(سلمه القيادة وفوضه بكل شؤون الجيش) : سلم اليه قيادة الجيش وفوض اليه

كل شؤونه . (انشأوا هنالك ميناءً واسعة) : ميناءً واسعاً بالتنوين والتذكير لان الميناء «المرفأ» مذكر على وزن مفعال وليست الالف فيه للتأنيث . (كما سعينا لخير هذا الوطن كما وقفت في سبيلنا العراقيل) : حذف كما الثانية . (استولى علينا الانذهال الكلي) : الذهول الشديد او الدهشة الشديدة — لانه لم يسمع وزن انفعل من هذا الحرف . (حكموهم قروناً طوالاً) : حكموا بينهم او حكموا عليهم قروناً طوالاً . (الحماس في العراق) : الحماسة او الهياج في العراق — والحماس نوع من الشجر . (بوشر بترميم الدار) : بوشر ترميم الدار — بحذف الباء لانه متعدٍ بنفسه . (كنا مشعرين بحراجة الموقف) : كنا شاعرين بحرج الموقف . (ساهر بعين لاتخفاها خافية) : لاتخفى عليها خافية . (لا يفرق بين الغث والثمين) : السمين بالسين ضد الغث وهو الهزيل . (سوى النذر القليل) : النزر بالزاي لا بالذال . (تركهم في أذيال خيبتهم يعمهون) : يتعثرون — او في ظلمات خيبتهم يعمهون .

* * *

(حكم عليهم بالاعدام) : لم يسمع هذا التعبير عند العرب ولعله من الاصطلاحات التركية والصواب — حكم عليهم بالموت . (تركه عالة على المجتمع الانساني) العالة جمع عيل « بالتشديد » كسادة وسيد والصواب تركه عيلاً او عبئاً على المجتمع — ويقال تركهم عالة — عند الجمع . (لا اعتقد بان الامر كذا) لا اعتقد ان الامر كذا — بحذف الباء لانه متعدٍ بنفسه . (وبينما اكون اشتغل يكون هو يطالع الروايات) وفيما انا اشتغل يطالع هو الروايات . (اتخذ الكسالة عادة) الكسل — ولم يسمع وزن فعالة من هذا الحرف . (من هذا البئر العميق) من هذه البئر العميقة — لان البئر مؤنثة . (من الدائبين على خدمة البلاد) في خدمة البلاد . (اذا حاولت الامر لاحتجت الى مال وفير) والصواب إبدال لو من اذا — او يقال اذا حاولت الامر فاني احتاج الى مال وافر — لان اللام لا تدخل على جواب اذا .

* * *

(يهب الجسم نشاطاً) الفقهاء يعدون وهب الى مفعولين ولكن الافصح فيه ان يتعدى الى الاول باللام والى الثاني بنفسه فيقال : يهب للجسم نشاطاً . (أتيح لي

الحظ بان احصل عليه) أتاح لي الحظ ان احصل عليه = اراُتيح لي ان أحصل عليه = بحذف الحظ والباء . (اهاب بنا التذكار المسر امس المسيء اليوم) السار السيء = من سرَّ وساء الثـلاثيين . (لكن ذلك لا ينهي الشقاق) لا يقطع او لا يحسم الشقاق = لان للانهاء معنىً آخر هوالابلاغ . (صلاحيَّة مدراء النواحي) صلاحية مديري النواحي = بتخفيف الياء في صلاحية كعلانية وكراهية وعناهية ورفاهية = وجمع مدير بضم الميم « مديرين » لانها وزان مُفعل لافعيل . (بلدية بيروت ونحن) نحن وبلدية بيروت . (أشاع بانه يريد) أشـاع انه يريد = بحذف الباء . (اليد التي تحيك ملابس القوم) تحوك = لانه واوي . (يسافرون من والى الولايات المتحدة) من الولايات المتحدة واليها = لانه لايجوز عطف الحرف على الحرف بدون ذكر المجرور .

* * *

(في احدى القطارات) في احدى القاطرات او في احدى القطر بضمتين جمع قطار ككتاب وكتب وجدار وجدر ونظام ونظم . (عليهم ان يتخابروا معه) عليهم ان يفاوضوه او يباحثوه . (تصليح الطرق) إصلاح الطرق او تعبيدها = لانه لم يسمع وزن فعّل من هذا الحرف . (دعت خادمتها وطلبت اليها كذا) طلبت منهـا كذا لان طلب اليه ابتهل اليه والسيدة لا تبتهل الى خادمتهـا . (لا يقبل به بعلاً لابنته) لا يقبله او لا يرضى به بعلاً لابنته . (جعلني ان أفيق) جعلني أفيق = بحذف ان او ايقظني . (ماضر اغنيـاءنا اذا صرفوا شيئاً من مالهم) ماضرهم لو بذلوا = لان لو مصدرية تؤول مع مابعدها بمصدر فاعل ضرَّ أما اذا فلا يصح فيها ذلك . (في أحراش القرية) غابات او أحراج بالجيم جمع حرج «بفتحتين» وهو المكان الكثير الشجر . (في ردح قصير من الزمن) في زمن قصير = لان الردح هو المدة الطويلة . (اخذت أُفتش عليها الى ان وجدتها) اخذت ابحث او أُفتش عنهـا حتى وجدتها . (هل كانت مسرورة او حزينة) أمسرورة كانت ام حزينة .

(الخاتمة في الآتي) ابراهيم المنذر

مطبوعات حديثة

خطط الشام

« الجزء الرابع »

تناول الاستاذ الرئيس في هذا الجزء من كتابه الممتع — التاريخ المدني — فافتتحه بالكلام على العلم والادب ، ألمّ من ذلك بما عرفه عن هذا القطر قبل الاسلام ، ثم بسط الكلام في ذلك بعد الاسلام قرناً قرناً ، فعد عشرات من رجال كل قرن ، في كل علم وفن ، ونوّه بطبقة من الفنانين قلّ ان عُني بهم من كتب في التاريخ ، وأحسن كل الإحسان اذ قال : « ومن الغريب ان بعض المتأخرين ممن دوّنوا تراجم اهل عصورهم حرصوا على تراجم المجاذيب والمخرقين ولم يذكروا اهل تلك الايام من المقدرين والبنائين وغيرهم ممن خلدوا بآثارهم مدنية أعصارهم » .

وأشار الى تاريخ التدوين والنقل ، والى البحوث العلمية في أقدم تاريخ الاسلام ، والى إنشاء المكاتب والمدارس ودور العلم (الجامعات) ، والى ما كان من ارتقاء في بعض الاعصر ، وما كان من انحطاط في البعض الآخر ، وعلل الاسباب في كثير من المواطن ، ووصف (تأثيرات الاجانب في التربية) .

ثم انه انتقل الى النهضة العربية الاخيرة في الشام ، فنوّه بالذين قاموا بها ، او كان لهم اثر فيها ، وتعرض لمدارس الحكومة العثمانية ، ففعل المؤرخ المنصف ، وعقد للصحافة العربية فصلاً قيّما : ذكر فيه نشأتها الاولى ، وجهود ابناء الشام في سبيلها ، في الشام ، وفي غير الشام ، وشخّص داءها ، ووصف دواءها ، وبين مانحتاج اليه منها ، ومن تحتاج اليه منا ، وختم هذا الباب بفصل عن الطباعة والكتب ، وحركة التأليف والنشر ، وما يعتورهما من نقص ، وما لذلك من علل .

وأدار المبحث الثاني على الآداب الرفيعة (الفنون الجميلة) فبدأه بالموسيقى ، ذكر نشوءها الطبيعي ، وأثرها في النفس ، وحظ العرب منها ، وعناية دولهم بها ، ونوّه بالمشهورين في هذا الفن ، وسرد اسماء طائفة كبيرة منهم : رجالاً ونساءً ، ولا سيما من اهل الزمن الحاضر ، ثم انتقل الى التصوير فجمع اليه النحت ايضاً ، وتكلم بعد ذلك

عن النقش والبناء ، فذكر أقدم ما وصل اليه بحثه عن هذه الفنون في هذا القطر . فأشار الى اشياء من التماثيل المنحوتة ، والنقوش البديعة التي عفت عنها عوادي الايام . وأفاض بجواز التصوير في الاسلام إفاضة محمودة شائقة . وقال ان المسلمين : (حاذروا اذا أجازوا الرسم المجسم ان يكون في عملهم مدرجة للعرب الى الرجوع الى عبادة الأصنام ، فجعلوا في التجوز بعض القيود الخفيفة . فلما ذهبت تلك الخشية اخذت مسألة التصوير تنحل شيئاً فشيئاً ، وبعد الى ما فيه مصلحة منه » واستشهد على ذلك بان نفراً من الصحابة استعملوا الصور واستصنعوها في بيوتهم .

قال وبعد ان كان العرب لاول عهدهم في الشام — عالة في التصوير على الروم والفرس نشطوا بعد ذلك فأخذوا بهذا الفن شيئاً بعد شيء حتى برعوا فيه . فجاؤا من النقوش الزاهية ، والتصاوير العجيبة ، بما يأخذ بالابصار . وتفننوا بتصوير النبات تفنناً غريباً فصوروه على انحاء شتى .

وجعل بعد ذلك باباً خاصاً بالزراعة ، وآخر بالصناعة ، وثالثاً بالتجارة . فكان اكثر كلامه عن هذه الموارد الحيوية الثلاثة ، من الوجهتين الاجتماعية والتاريخية ، فجاء من ذلك بكلام ممتع مفيد ، ليس وراءه غاية . تناول به طرائق متعددة من حيث بيان الأنواع ، وذكر المواطن ، وشرح العلاقات الزراعية والصناعية والتجارية ، واحوال القائمين بها . وختم مبحث الزراعة بفصل اختص به الحمات الشامية .

وعهد في الكلام عن هذه الموارد من وجهتها الفنية ، الى رجال من اهل العلم والاستقراء ، او الاشتغال والممارسة ، فأحسن المؤلف الاختيار اذ أجاد الكاتبون في الشؤون التي عالجوها إجادة حسنة .

هذا وصف مجمل ما أحسب انه يقوم بحق هذا الكتاب . لذلك ارى من الذمة في النقد ان أشير الى بعض الاشياء التي وردت فيه ، ليعرف من لم يطلع عليه ، مبلغ الاستاذ من الحرص على خدمة أمته خدمة ادبية صادقة . وكيف انه كان منصفاً في ما كتب ، واستشهد . ليس بالعصبي تأخذه النزعة القومية فيلصق بقومه من الفضائل ما لم يكن لهم ، على نحو ما يفعل كثير من المؤرخين متى كتبوا عن قومهم ، ولا بالضعيف يرى محاسن قومه فيغضي عنها مخافة ان يُتهَم بالعصبية لقوم لا دولة لهم ولا علم .

ولكنه كان بين ذلك مؤرخاً صادقاً ، يشيد بحضارة قومه الحق . و يثني على ما كان لهم من فضل . و ينبه الى ما سبق لهم من خطأ . داعياً أمته الى نهضة قوية ، مسمعاً قومه ما يقول المنصفون منهم .

والى القارئ قليلاً من كثير، كان حقاً ان ننوّه به كله ، لولاخوف انتشار الكلام: استشهد على حضارة العرب بجملة من التاريخ العام هذا بعضها :

« فالمدنية التي عمل فيها هذا العدد الكثير من المؤازرين المختلفين ليست اذاً عربية صرفية ! بل هي بحسب النموذجات التي تشبعت بروحها والمحيط الذي كبرت فيه يونانية وفارسية وشامية ومصرية واسبانية وهندية ، ولكن اذا وجب ان يذكر لكل واحد قسطه من العمل لا يسع المنصف الانكار بان قسط العرب منه كان اعظم من غيرهم ، فلم يكونوا واسطة فقط لنقل هذه المدنية ، ينقلون الى الشعوب الجاهلة في افريقية واسبانيا واوربا اللاتينية ، معارف الشرق الادنى والاقصى وعلومه واختراعاته ، بل احسنوا استخدام المواد المبعثرة التي كانوا يلتقطونها من كل مكان . فمن مجموع هذه المواد المختلفة التي صُبَّت فتمازجت تمازجاً متجانساً ، ابدعوا مدنية حية مطبوعة بطابع قرائحهم وعقولهم . وبفضلهم تيسر للحضارة الاسلامية في القرون الوسطى التي عاونت فيها ابداً اخرى، ان تكون ذات وحدة موصوفة فالتقليد فيها محسوس ولكنه تقليد غير اعمى ، فان سلطة الاساتذة الاقدمين لا تمنع الابحاث العلمية والاختراعات الحديثة ، كما ان مشهد البدائع القديمة ودرسها لا يحول دون انتشار التفنن ولطافة الابداع في الاختراع . وفي الشرق نشأت هذه المدنية وكانت دمشق احدى مراكزها ومنبعث انوارها اه » .

وهذا ما نقله عن تاريخ اللغة الفرنسية وآدابها : « اما بشأن اللغة (اي في عهد الصليبيين) فقد حدث ما يحدث في مثل هذه الاحوال على صورة مطردة ، وهو ان اللغة الاكثر تمدناً قد اثر اهلها في غيرهم . وكان اكثر الامم تمدناً بلا مراء الشرقيون ولا سيما العرب واليونان . وقد تعلم قليل جداً من العرب والترك والفرس لغة الافرنج ماعدا بعض التراجمة الرسميين . وعلى العكس تعلم كثير من الصليبيين لغة الوطنيين عقيب وصولهم الى فلسطين .... ولا ريب ان مجاورة التمدن الاسلامي ، قد ساعدت على زيادة النفوذ الذي كان العلم العربي والفنون العربية تؤثر فينا منذ زمن

طويل · ومعلوم ماندين به لهذا التأثير كل من الفلسفة والرياضيات والفلك والملاحة وتركيب النيران الصناعية والطب والكيمياء ، حتى فن الطبخ · فقد اخذنا عن العرب أشياء كثيرة من مثل طريقة الارقام وشروح ارسطو حتى حمام الزاجل والشعار ، وأدوات الموسيقى والأزياء والأقمشة والأزهار والبقول · وبعد فاذا حدث أحياناً ان الأشياء التي نقلت لم تكن تسمى الا باسماء المدنية الشرقية التي اخذت منها مثل ثوم وعسقلان وقماش دمشق ، فان غيرها قداحتفظت باسمائها العربية مع بعض التحريف وهي كثيرة وبتألف منها في الفرنسية مجموع كبير في الجملة » ·

ومما نقله قول رنان : « ان الفكر الديني لسوء حظ الاسلام تغلب بعد جدال طويل فخنق الحركة العلمية الفلسفية الباهرة التي جعلت المدنية العربية بتأثيرات الفارسية واليونانية والنسطورية واليهودية ردحاً من الدهر ، وارثة المدنية اليونانية قال واوربا مدينة لمدنية العرب ببقايا العلم الذي قطفت ثماره في القرون الوسطى » ·

ومما قاله المؤلف في وصف القرن الثاني عشر : « دخل القرن الثاني عشر ولا تجديد فيه ولاجديد ، الا النظر في قضايا قديمة لا كتها الألسن قديماً ، لا إبداع فيها ولا اختراع · فالمسائل الدينية المقررة تنتقل خلفاً عن سلف ، والآداب العربية تنحط ، حتى أصبح الشعر والنثر في حالة مخزية و « صارت الفتوى والقضاء والمناصب العلمية ملعبة وشعبذة وسخرية والمدارس مأوى الحمير » كما قال احد العارفين بذاك القرن · وأصبح القوم الا قليلاً ممن عصم الله كما قال حجة الاسلام الغزالي : والهم هواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشرىعتهم رعونتهم ، وإرادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم ، وذكرهم وساوسهم ، وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم ··

وقال في كلامه عن القرن الثالث عشر : « ثم ان الدولة العثمانية أنشأت المدارس العالية ··· فأخذ بعض أفراد من الشاميين يدرسون فيها ولكن بالتركية ، فكان ذلك الى آخر عهد العثمانيين في ديارنا من العوائق الكبيرة في سبيل نشر العلم ، لان الدولة كانت تحرص على نشر لغتها ، وأبناء العرب او من يريد ان يسلك مسالك الجيش والطب والإدارة والهندسة والزراعة أرغمتهم الحالة على التخلي عن لغتهم ،

فجاء اكثرهم ضعافاً حتى في العلم الذي أخصوا فيه ، وكانوا أضعف من ذلك في لغتهم ...

و يقول في موضع آخر : « وقد ضعفت في هذا القرن ملكة البيان في المسلين وهم يتلون القرآن ولكن بدون ان يتدبروا معانيه ويفهموا إعجازه ، حتى أصبح الفقيه والمحدث والنحوي والبياني والمنطقي لا يحسن كتابة سطرين الا بصعوبة ليس بعدها صعوبة . و يتعاصي عليه فهم الكلام الفصيح دون الرجوع في المفردات البسيطة ؟ الى المعاجم ، وضعف الشعر على تلك النسبة ، بحيث لم ينبغ الا افراد قلائل من الشعراء يستحق شعرهم ان يسمع و يدون ، بل كانوا اذا أرادوا الخطب في الجوامع والمساجد يحفظون شيئاً منها لاهل العصور التي سلفت و يوردونها بدون مناسبة ، بل ان الاجازات التي يكتبها الشيوخ وغيرها من التحميدات والتقاريظ وأدعية المواسم يتناقلونها عن الأقدمين ويحرفونها على صورة مستكرهة مهزءة وقد قويت في هذا العصر قاعدة خبز الاب للابن . وكان المفتي ابو السعود من مشايخ الاسلام في الاستانة اول من ابتدعها وأخرجها للناس ، فأصبح التدريس والتولية والخطابة والامامة وغيرها من المسالك الدينية توسد الى الجهلة بدعوى ان اباءهم كانوا علماء . وهم يجب ان يرثوا وظائفهم ومناصبهم — وان كانوا جهلة — كما ورثوا حوانيتهم وعقارهم وفرشهم وكتبهم .

وهو يقول في كلامه عن القرن الرابع عشر : « وكان الفضل في هذه النهضة الشامية لمدارس لبنان وبيروت وعناية بطاركة الموارنة وبطاركتهم (لعله يريد مطارنتهم) وأساقفتهم وقسيسيهم بالعلم واللغة ! اما العلوم الطبيعية والرياضية والطبية فانبعثت جذوتها من الجامعة الاميركية اكثر من غيرها . ولو لم تبطل تدريس العلوم بالعربية وتجعله انكليزياً منذ أوائل هذا القرن لتضاعفت الفائدة التي نشأت من هذه المدرسة العالية ...

ان المدارس الطائفية ومدارس المرسلين من الاميركيين واليسوعيين والألمان والانكليز والطليان واليونان والروس وغيرهم من الامم ذات المطامع في الارض المقدسة قد جعلت التربية متلونة في هذه الديار ، فأصبح كل متعلم يخدم الغرض الذي أنشئت

له مدرسته ، وانقسمت الامة بهذا الضرب من التعليم اقساماً شتى ، وتباعدت مسافة الخلف بين ابناء البلد الواحد ، لاختلاف المذاهب بل للاختلاف في المذهب الواحد، مما لم يكن له اثر يذكر في غابر العصور ، ولان معظم المدارس التي أنشأها غير الوطنيين من الشاميين كان العامل في تأسيسها مذهب خاص في الدين والسياسة ، فالانجيليون او البروتستانت تنتشر دعوتهم كل يوم ، واليسوعيون ينزعون منزعاً آخر في التربية الدينية والسياسية ··· وكم رأينا رجالاً ونساء درسوا في تلك المدارس فجاؤوا لا عرب ولا افرنج ! يتكلمون في بيوتهم بغير لغتهم ، ولا يشعرون شعور الشامي ، بل يبغضون تقاليدهم وتاريخهم ··· ولذلك صح ان يقال ان تلك المدارس لم تنفع البلاد النفع المطلوب ، بل نفعت الشركة التي قامت بتأسيسها ، بان هيأت لها في هذه الديار انصاراً ·

وبينا نرى بعض المسلمين يكتبون التركية كأهلها وشعورهم تركي صرف ولم ينفعوا بلاد الشام بشيء كثير من علمهم ، نشاهد كثيرين ممن درسوا في مدارس الرهبان والقسيسين والحاخامين يكتبون الفرنسية او الانكليزية او الالمانية او الروسية او اليونانية احسن من كتابتهم لغتهم بدرجات وكل هؤلاء لم يستحق احدهم اسم العالم والأديب ····

وبهذه الطرق المختلفة في مناحي التربية يستحيل ان يجتمع ابناء الوطن على مقصد واحد لان كل واحد يتعلم النفرة من مخالفه في معتقده ، وخصوصاً في مدارس بعض الرهبنات التي تهزأ بالاسلام والعرب ، وتحرّف التاريخ الصحيح ولا تعلّم منه الا ما ينطبق مع رغائبها ، ولا يفيد شيئاً في تكوين الوطنية والقومية » ·

ومن قوله في معرض كلامه عن الوراقة : « فلدمشق على فرنسا بل على المدنية بأسرها ، الفضل الاول في تعليم هذه الصناعة للغربيين ، وناهيك بانها أم صناعة نشرت العلم والافكار في العالم » ·

هذه الحقائق هي التي يجب على شباب العرب وابناء الشام ان يعرفوها فيتدبروها ، قبل ان يعرفوا اسماء ملوك فرنسا وكرادلتها ورؤساء جمهورياتها ، وملوك الانكليز ورجالات السياسة فيهم ··· بل هي الحقائق التي ينبغي لهم ان يتدارسوها ويعملوا

بها ، حتى قبل ان يعرفوا مدد الخلفاء واسماء اولادهم ، وهل كان المعتصم مثلاً مثمناً او مسبعاً او مسدساً ....

وبعد ، فنحن من وجه آخر نرى حقاً علينا ان نذاكر الاستاذ المؤلف في الامور الآتية :

اولاً — ان الاستاذ غلبه ما في نفسه من رغبة في تشجيع الناس على الاشتغال بالعلم والادب فأدخل في هذين البابين أشخاصاً ليسوا من العلم والادب في شيء ، وقسَّم من أدخلهم الى طوائف قسمة لا تنطبق على قاعدة ولا أساس . ولقد كانت مصيبة الادب من ذلك اكبر مصيبة . اذ جاء بسلسلة من الاسماء سماهم كلهم أدباء ، وفي هؤلاء الذين جعلهم أدباء ، من اذا حاول كتابة سطر في العربية لم يستطعه ، وبعضهم لا يحسن ان يقرأ عبارة واحدة قراءة صحيحة . ولا يرد على ذلك انه لم يخصص من سمى بالآداب العربية . فسياق الكلام كله ، يدل على انه لم يرد غير الادب العربي ، وفيما سبق مما استشهدنا به من قوله : « وكل هؤلاء لم يستحق احدهم اسم العالم والاديب...» ما لا يترك للتردد في ذلك مجالاً . دع ان في من سماهم كثيرين ممن لا يعرفهم ادب من آداب اللغات على اطلاقها .

ومع ان الأديب هو اللقب الذي كان يعز على من رامه و يطول . وهو الذي عرَّفه الاستاذ في الصفحة الاولى من كتابه هذا « بانهم اصطلحوا بعد الاسلام بمدة طويلة على تسمية العالم بالشعر اديباً ، وعلوم العربية ادباً » هذا اللقب الكبير تركه الاستاذ في كتابه من الألقاب المبتذلة التي يعافها الادباء بل أشباه الادباء ...

ومن مثل هذا التساهل الذي لا يحمل تدوينه قوله : « وكان من اهل بيت صلاح الدين (يريد الايوبي) الشعراء المفلقون . اما ان كان في هذا البيت من قال الشعر فنعم . واما ان يكونوا شعراء ، ومفلقين ! فهذا ما يحتاج الى دليل . ومن تساهله ايضاً في اعتماد بعض الرواية من غير معايرة قوله انه « قيل انه كان في دمشق وحدها ثلاثون الف نول للنسج قبل الخرب » وهذا قول مبالغ فيه ؛ لا يقبله العقل بالنسبة لعدد سكان المدينة ، ولما يحتاجه كل نول من الايدي العاملة على ما بيّن عدده السيد الحفار في مقاله عن التجارة .

ثانياً — كنت أحب له ان لا يستنكف عن الحكم في حيث يجب ان يكون له رأي فصل يأخذ به قراء كتابه ، او يهتدون به · فهو يكتفي أحياناً ببسط الأقوال ولو متضاربة · فاذا قال مثلاً : ان الفاطميين أرهقوا السنة في كل قطر ، وعقب على ذلك بقول القلقشندي : ان الفاطميين كانوا على العكس يتألفون اهل السنة والجماعة · وقف بالقارئ عند هذين القولين من غير تمحيص ولا ترجيح · و يبقى القارئ بعد في سبح من امره · لا يعرف باي القولين يأخذ · ومثل هذا ما كنا أشرنا اليه في كلامنا السابق عن جزء من الاجزاء السابقة ·

ثالثاً — عاب على الجامعة العربية السورية ، ضعف الملكة العربية في القائمين بها ، وغلبة التربية التركية عليهم · ورأى ان دواء هذا المرض بالاتيان من مصر ، وبلاد الغرب بعلماء إخصائيين في الفروع التي لا نحسنها من فروع العلم · وهذا الدواء لا نستطيع ان نوافق الاستاذ عليه · ذلك ان العربي المصري يحول دوننا ودونه حوائل غالبة لا قبل لنا — لسوء الحظ بدفعها — والغربي ينقل لك لغة التدريس من العربية الى لغة غريبة ، وقيمة هذه الجامعة ان العربية لغتها · فمتى أضاعت هذه اللغة ، فقد أضاعت قيمتها كلها · ومهما قيل في هذه الجامعة من حق او من بطل ، فان لها على هذا القطر الشامي ، ولا سيما معهد الحقوق يداً لا تنكر · غير ان هذا كله لا يمنعنا من موافقة المؤلف على ما عاب فيه هذه الجامعة ، ولا سيما في ضعف الملكة العربية ، وقد رأينا كثيراً من الكتب ينقل نقلاً حرفياً ، لا يتفق مع حاجة الأمة ، ويضيع معه المعنى في كثير من الأحيان · حتى لقد وقع الينا بعض من هذه الكتب فرجعنا أبصارنا في عبارات ومباحث بل طلامم لا تحل لها رموز ، ولا يليق ان توضع أمثالها بين ايدي الطلاب · وأفضل ما نراه والحالة ما ذكرنا — ان تؤلف لكل فن لجنة من اهله ، ومن الواقفين على الأسلوب العربي الصحيح ، ومن رجال الصراحة والإخلاص ، تنظر فيما ينقل من الكتب ، فلا يدرس كتاب الا بعد ان تقره هذه اللجنة · وان لا يكون هوس كل استاذ في ان يضع كتاباً لنفسه ، بل عليه ان يعتمد اول الامر الكتب التي وضعها غيره ، متى كانت وافية بالمراد ، او امكن ان يستدرك ما فيها من نقص او قصور ·

رابعاً — جاءت الفاظ كان من حقها ان تفسر مثل : الخزان · والركاض ·

والمجهز . وهي الأصناف الثلاثة التي قسم اليها التجار جعفر بن علي في كتابه (الاشارة الى محاسن التجارة) وهذه الالفاظ لا يصح لنا أن نجتهد في تفسيرها اجتهاداً يوافق معناها الوضعي بل علينا ان نعرف معناها الاصطلاحي ، لعلنا نستطيع ان نستعملها اليوم لما استعملت له من قبل ، او لأصناف أخرى من تجار اليوم .

خامساً — حبذا لو ترك الكلام على معادن البلاد ومناجمها لمهندس من ذوي الاختصاص كما فعل بسائر المسائل الفنية .

نقف القلم عند هذا الحد . ونعود فنكرر الثناء على همة الاستاذ ، فلقد خدم بكتابه هذا خدمة جلى ، من حق كل عربي ان يقدرها قدرها ، وان يزين بهذا السفر الممتع مكتبته ، ليرجع اليه ، ويعول عليه . عضو المجمع العلمي العربي

عارف النكدي

المعتمد

« معجم في متن اللغة العربية تأليف الاستاذ جرجي شاهين عطية . وقد »

« طبع بمطبعة مكتبة صادر في بيروت سنة ١٩٢٧ م وعدد صفحاته ١٠١٨ »

الاستاذ جرجي عطية من كتاب العرب الحريصين على خدمة اللغة وآدابها . وقد حمله حرصه المذكور على وضع هذا المعجم النفيس في متن اللغة متوخياً أقرب الطرق الى جمع ما يهم الطلاب والمتأدبين . فاذا كانت صفحات المعجم الف صفحة . وكل صفحة ثلاثون كلمة . فيكون هذا المعجم قد احتوى على نحو ثلاثين الف كلمة من خيرة الكلم وأفصحها وأحقها بالاستعمال والتداول بين الكتاب . وقد قال المؤلف في مقدمة الكتاب انه اعتمد من كتب اللغة في الاكثر على لسان العرب وتاج العروس وانه قد نبه الى الألفاظ المولدة والدخيلة . وما يدل منها على المخترعات والمصطلحات واهمل الحوشي والبذيء . وزين كتابه بطائفة من الرسوم والصور تمثل معاني بعض الكلمات .

وقد تصفحنا هذا المعجم فوجدناه مطابقاً لخطة التي رسمها له مؤلفه : فهو يذكر الكلمة ويذكر من معانيها ما كان اكثر شيوعاً او اكثر لزوماً . محافظاً في ذلك على ما قاله

أرباب المعاجم فقراء يذكر عبارتهم في شرح الكلمة من دون تعليق عليها ولا تغيير او تبديل فيها . فمن ثم كان المؤلف في منجاة من اللوم والانتقاد من جهة تفسير الكلمات .
وقد بقيت الجهة الثانية أعني اختياره للكلمات الجديدة بالاستعمال . و إهماله الكلمات غير الجديرة به . وهذا الامر قد لا يسلم المؤلف من النقد فيه . على ان كل من الف معجماً حديثاً في لغتنا وتوخى اختيار ما يحسن استعماله و إهمال مالا يحسن لا بد ان يصبح عرضة للنقد في هذا الإختيار والإهمال . لان المسألة إذ ذاك لم تعد مسألة نقل ، وانما هي مسألة ذوق والأذواق تختلف . فرب كلمة لغوية ينبذها المؤلف لانها في رأيه حوشية اومسمجة او انها مما لا يحتاج اليه أبناء هذا العصر . وكلمة أخرى يختارها ويدونها في معجمه مستحلياً لها معجباً بها . مع ان هنالك آخرين من الادباء يرون عكس ما رآه : فهم يستحسنون ما استقبح . ويستقبحون ما استحسن . وهكذا معاجمنا الحديثة تبقى معرضة لهذا الضرب من النقد مادام مؤلفوها قد قاموا بعملهم منفردين مستقلين . اما اذا قام بتصنيفها جماعة من علماء اللغة متآزرون متعاونون فان النقد يخف واللوم يقل فيما أحسب .

ولنذكر أمثلة لما قد ينتقد على المؤلف من جهتي الإختيار والإهمال : ذكر من مادة (الرطم) ثلاث كلمات : (رَطَمَه) و (ارتطم) و (رُطْمة) . فاما الكلمتان الاوليان فربما لاتعدان من الغريب بالنسبة الى عامة المتأدبين . فالارتطام في الوحل معهود في كلامهم وهم بالطبع يفهمون من (رَطَمه) انه أوقعه في الوحل (على سبيل الحقيقة) اوأوقعه في امر لايخرج منه (على سبيل المجاز) بقيت كلمة (رُطْمة) وهي وحدها التي اختارها المصنف من مادة (رطم) زيادة على (رَطَمَه) و(ارتطم) وفسر (الرُطْمة) بامر لا تعرف جهته . وقد يقول قائل ان هذه الكلمة (الرُطمة) فيها غرابة وكلمة (الورطة) تقوم مقامها . فما كان ينبغي للمؤلف ان يذكرها لاسيما ان الزمخشري في كتابه (أساس البلاغة) قد أهملها مع ان استعمالها في المعنى الذي فسّرها به المؤلف مجاز والزمخشري انما الف (أساسه) لاجل ذكر هذه المجازات . فلو لم تكن الكلمة مهجورة لما أهملها . وكان على المؤلف بعد ان ذكر (الرُطمة) ان يودعها تركيباً يساعد الطالب على تعقل طريقة استعمالها كما فعل شارح القاموس مذ مثل لها بقوله (يقال وقع في رُطْمة

اي امر يتخبَّط فيه) فما ضرَّ مؤلف (المعتمد) لو نقل هذه العبارة التي قالها شارح القاموس إذ ان فيها تصويراً لمعنى (الرطمة) وبياناً لطريقة استعمالها في الكلام . وهو مايحتاج اليه الشادون اليوم . ثم يؤخذ على المؤلف انه اختار (الرُّطمة) من مادة (رطم) وأهمل ذكر ما كان أحق بالاختيار والانتخاب منها مثل (ارتطم) الشيءُ اذا ازدحم وتراكم . و (أرطم) فلان سكت . وامرأة (مرطومة) متهمة بسوء. فاختياره (الرُّطمة) وحدها من دون ماذكرنا موضع للنقد في رأي بعض الناس . امانحن فنعتذر المؤلف ونعتقد انه لو اختار غير (الرطمة) من تلك الكلمات لوجد من يورد عليه الايراد نفسه . ولا يمكنه ان يهمل كل كلمات الغريب لان الغرض إحياء الفصيح منها. ولا ان يذكرها كلها لان الغرض الاقتصار على ما يهم الطلاب الشادين .

وذكر المؤلف في مادة (صنف) الكلمات المألوفة الاستعمال منها . ثم ذكر من غير المألوف قوله (تصنَّف) الشجر اذا تفطر للإيراق وقوله (الصَّنِفة) من الثوب حاشيته . وكان المنتظر من المؤلف ان يأتي بتركيب يوضح طريقة استعمال (الصَّنِفة) كما فعل الزمخشري في أساس البلاغة مذ قال ("مسحه بصَنِفة ثوبه اي بحاشيته) وان لم يذكر هذا فليذكر الحديث الذي استشهد به التاج وهو قوله (ص) (اذا أوى احدكم الى فراشه فلينفضه بصنفة إزاره فانه لايدري ماخَلَفَه عليه) وهذه الشواهد من كلام البلغاء من خير الطرق في تعقل المعاني والتمرن على استعمال الكلمات كما قلنا آنفاً . ثم أراد المؤلف ان يختار كلمةً غريبة من مادة (صنف) يهديها الى الطلاب فاختار كلمة (الأصنف) وقال هو الظليم المتقشِّر الساقين . مع ان الظليم نفسه وهو ذكر النعام قلما يهتم به أبناء هذه الديار إلا في مثل قولهم (فر فلان يعدو كالظليم) اماساقاه وانه قد يطرأ عليهما غيب او مرض فتتقشران . وان الظليم إذذاك يوصف بكلمة (أصنف) فان هذا مما لايهم طلابنا . ولا أبناء الضاد في بلادنا . اللهم الا المقيمين على بساتين الحيوانات او الذين يسيحون في مجاهل افريقيا حيث يوجد النعام بكثرة .

نرجع فنقول : ومن العجيب ان المؤلف اختار كلمة (الأصنف) التي لا لزوم لها وترك من تلك المادة كلمة (تصنَّفت شفة الرجل اذا تشققت او تقشرت) . وما أكثر ما نشاهد هذا التشقق والتقشر في شفاه الناس ونسمع شكواهم منه الى الاطباء . اما

نقشر سيقان (الظلمان) (جمع ظليم) فاننا لا نراه في هذه الديار طول أعمارنا . فكيف اهتم المؤلف بتقشير سيقان الظلمان وأهمل تقشير شفاه الانسان .

وقد رأينا المؤلف تساهل كثيراً في ايضاح معاني بعض الكلمات والكشف عن مواقع استعمالها . من ذلك قوله في مادة (عرّ) (وكل شيء باء بشيء فهو عرار له) ولا يخفى ان اول ما يتبـادر الى الذهن من معاني (باء) انما هو الرجوع . فاذا ذهب الشرطي الى السوق ثم رجع بالمتهم فهل يقال انه عرار لذلك المتهم ؟؟ اذا سمع الطالب عبارة المؤلف اضطر الى ان يراجع معاني كلمة (باء) في معجم (المعتمد) فيجد من معانيها (باء دمه بدمه عدله وباء فلان بفلان قُتل به) ولكن هل يكفي هذا في ايضاح كلمة (العرار) التي فسرها المؤلف بما فسر ؟ نعم ان المؤلف نقل عبارة القاموس والتاج . ولكنهما ان اقتصرا على هذه العبارة هنا فانهما ذكرا في مواضع أخر تفسير المثل وهو قولهم (باءت عرار بكحل) و(عرار) و(كحل) بقرتان انتطحتا فماتتا فضربتا مثلاً لكل متكافئين متماثلين . ثم توسعوا في كلمة (عرار) الى حد ان أطلقوها على المماثل المكافئ . فقول المؤلف (كل شيء باء بشيء فهو عرار له) قد يعجز الطالب عن إدراك معناه مالم يراجع أمهات كتب اللغة فكان على المؤلف اما ان يهمل هذا التركيب او يذكره مفسراً له بأوجز عبارة .

ومن الكلمات التي أهملها المؤلف ونجد أنفسنا في حاجة اليها لاسيما الخطباء منا واعضاء مجلس النواب والمحامين — قول العرب (زوّر كلاماً في نفسه) اذا هيأه وقدّره في نفسه قبل أن يتكلم به ومنه قول عمر (مازوّرت كلاماً لأقوله إلاسبقني به ابوبكر) أهمل المؤلف هذا مع انه ذكر لفعل (زوّر) معاني ليست مما نحتاج اليه بقدر ما نحتاج الى (زوّر) بالمعنى المذكور .

هذا ما رأينا ان نحادث به المؤلف وهناك امور ليست بذات بال مثل انه لم يذكر من كنايات الكلمات واستعمالاتها المجازية الا القليل وكان يحسن الاستكثار منها لما فيها من التوسعة وتوفير الثروة الكتابية بين ايدي شُداتنا وطلاب مدارسنا .

ورأيناه ذكر الامام الحنفي والشافعي والمالكي وقال انهم أئمة فرق اسلامية لكنه

لم يذكر سني وفاتهم وكان المنتظر ان يذكر ذلك او يدع ذكر الائمة تماماً (دوائر المعارف) لاسيما انه أهمل ذكر (احمد بن حنبل) وهو رابع الائمة المذكورين .

ومما يلاحظ على المؤلف ايضاً انه فسر (المعز) بقوله (هو خلاف الضأن) وهذا صحيح فان المعز هو الاهلي المعروف . ثم لما فسر (العنز) قال (هي الانثى من المعز) واقتصر على هذا فيفهم منه ان (العنز) هي أنثى المعز الاهلي فقط مع ان (العنز) هي الانثى من المعز الاهلي ومن الظباء والأوعال الوحشية . ثم أراد المؤلف ان يرسم لنا صورة (العنز) فلم يرسم صورة المعزى الأهلية التي فسر العنز بها بل اتى بصورة ظبية او وعلة وحشية . فكلمة (العنز) فسرت بمعنى وصورت بمعنى آخر .

وما ذكرناه من الملاحظات تافه حقير . في جنب ما تضمنه الكتاب من العلم الغزير . فالشكر لمؤلفه النحرير .

المغربي

السنابل

« تأليف الخوري بطرس البستاني . طبع في مطبعة مكتبة صادر »

« بييروت سنة ١٩٢٧ م في زهاء ٣٢٠ صفحة »

للمؤلف الموما اليه مقالات جمة في مختلف المواضيع كان ينشرها في المجلات والصحف السيارة . وكذلك له من القصائد الغر . ما يحاكي عقود الدر . وقد عمد اخيراً الى ذلك جميعه فاختار منه نحو ٥٨ مقالة و١٥ قصيدة واودعها كتابه هذا الذي أسماه (السنابل) فهو كتاب أخلاق وادب واجتماع ووطنية صادقة وغيرة على اللغة العربية فائقة : من ذلك قوله على لسان هذه اللغة :

(يا بني العرب عززوني فتحيوا ... وأذيعوا في الارض ذكري الحميدا)

(وانشروا في الملا مآثر قومي ... وتحدوا بالمكرمات الجدودا)

(كانت العرب في الخيام ملوكاً ... أ تكونون في القصور عبيدا)

(كانت العرب ارحب الناس صدرا ... ولدى الضيم أصلب الناس عودا)

(لا يرون الوفاق الا نعيماً ... ويرون الشقاق خطباً شديدا)

(انما الشرق في الجهالة عبد فارفعوه بالعلم حتى يسودا)

وقوله من مقال بعنوان (النخاسة السرية اوالخيانة الوطنية) : (وان في كل بلدة وتحت كل كوكب نخاسات ليست بأقل فظاعة من النخاسة التي يستهجنونها ٠ وهل يخامرنك ادنى مرية ان الذين يخونون وطنهم وأبناء وطنهم خفية اوعلانية جلباً للنفع اودفعاً لضر انما يتعاطون مهنة النخاسة الوضيعة بل هم من اوغد النخاسين وانذلهم طبعاً واخسهم نفساً ٠ وان الذين يدسون على أمتهم ويكيدونها ويمكرون بها ويغتالونها هم أخون لها وابلغ اذى من الذين يناصبونها العداوة ويصارحونها بها) الى ان قال : (وعمرك الله كيف لايكون في هذا الوطن نخاسون واكثر بنيه يبيعونه بأكلة عدس ولايحفلون بشرفهم ان يدنَّس ولا بضميرهم ان يلوث ٠٠٠٠٠ فاذا نزعت ابصارهم الى منصب رفيع طالما علقوا به النفس سعوا اليه عن طريق المداهنات والمراوغات والتزلفات والتزللات وعفروا أجبنتهم العالية في التراب الذي تطوءه أقدام من يحققون لهم أملاً الخ) هاتان نبذتان من نثر المؤلف ونظمه ٠ ومنهما يستبين القارئ حسن أسلوبه الكتابي وطرزه الشعري وغزارة مادته اللغوية ولكنه أحياناً يستعمل من كلام اللغة مايكون غيره خيراً منه ٠ من ذلك قوله في الجملة الاخيرة (عفروا أجبنتهم العالية) يريد بالاجبنة جمع جبين و(جبين) يجمع على أجبنة كما يجمع على (أجْبُن وجُبُن) ولكننا لانظن البلغاء يسوغون استعماله وانما هم يعدلون عنه الى (جباههم) مكان (أجبنتهم) و يختبئون (الجُبُن) و (الأجبن) و(الأجبنة) الى ضرورة السجع اوالوزن اوالقافية ٠ اللهم الا ان يكون المؤلف اخذ هذا الجمع (الأجبنة) من قول لبعض البلغاء لم نطلع عليه ٠

ومن ذلك قوله (ص٣٢) (الجراح الثخان) وصف الجرح بكونه ثخيناً غيرمعهود فان معنى الثخين الغليظ نعم يقولون مجازاً (أثخن فلان في العدو) اذا بالغ في الجراحة فيهم و(أثخنته الجراحة) أوهنته ٠ فاذا اضطررنا الى وصف الجرح بالثخانة فلنقل (جرح مُثخِن) اي موهن موقذ لا (جرح ثخين) اذ ان فعله الجزئي أثخنه لا ثخنه ٠

وقوله (تسقي كؤوس المرائر حتى الثمالة) لانعلم ان (المرائر) تكون بمعنى الاشياء المُرَّة ٠ وقوله في (ص٣٦) (ولا تسمع الآذان من الأحاديث سوى ما يشدخ مسمع الأدب) لعل الشدخ هنا محرف عن (خدش) اذ هم يقولون اليوم (خدّش السمع)

ومثله قوله في (ص ٩١) (والخطباء المصقلين) صوابه (المصقعين) فهو تحريف مطبعي قطعاً ومثل المؤلف لايخفى عليه ذلك . وقوله في (ص ١٣٧) (اول صخرة يرتطم بها) الارتطام انما يستعمل في الوحل اما الصخر فيستعمل فيه الاصطدام . وفي (ص ١٦٥) قوله (الى ان تتهوّر وتنهار صروح آمالنا) لا فرق بين (تهور) و (انهار) لانهما كليهما من مادة (هور) لكن الاول من (التفعل) والثاني من (الانفعال) فعطف احدهما على الآخر كعطف (انقشع) على (تقشع) في مثل قولنا (تتقشع وتنقشع غيوم احزاننا) و(تتكسر وتنكسر سيوف أعدائنا) .

هذا ما بدا لنا اثناء تصفح الكتاب اما ما بدا لنا من كلماته اللغوية المستعملة في مواضعها والواقعة في أحسن مواقعها — فهو كثير جداً لايكاد يحصى . ونكرر القول بان الكتاب . من خيرة كتب الأخلاق والآداب التي يحسن ان يقرأها الناشئون والطلاب . فنشكر لمؤلفه عنايته بابرازه وندعو له ان يوفق الى امثاله .

له

مجموعة لغوية

أهدت الى مجمعنا العلمي (الشركة الخيرية لإحياء الكتب العربية) في حلب مجموعة تتضمن ثلاثة كتب في اللغة طبعتها على نفقتها في المطبعة العلمية بحلب سنة ١٣٤٥ ﻫ

(الكتاب الاول) كفاية المتحفظ في اللغة تأليف الشيخ ابي اسحق ابراهيم الطرابلسي المعروف بالاجدابي وهو على نسق كتاب فقه اللغة للثعالبي .قال عنه صاحب كشف الظنون (هو مختصر فيما يحتاج اليه من غريب الكلام بدأ من صفات الرجال المحمودة) وكان هذا الكتاب طبع في بيروت سنة ١٣٠٥ ﻫ الا ان نسخه نفدت من سنين . وقال السيوطي في (بغية الوعاة) في ترجمة المؤلف (له أدب وحفظ ولغة وتصانيف ومن مشهورها كفاية المتحفظ) و (الأنواء) . والكتاب في نحو (٧١) صفحة .

(الثاني) (مختصر كتاب الوجوه) في اللغة للامام محمد الخوارزمي و (كتاب الوجوه) الاصلي للامام اسحق الآسي جمعه من عدة كتب في اللغة وطريقته فيه انه يذكر

اللفظ الواحد ثم يسرد مايستعمل فيه من المعاني والاشياء مرتباً ترتيباً حسناً يسهل معه الحفظ والاستظهار وهو في نحو (١١١) صفحة ·

(الثالث) كتاب (المذكر والمؤنث) للامام الفرا احد أئمة اللغة المشهورين وهو برواية ابي سعيد السيرافي · والمؤلف في هذا الكتاب يتتبع الكلمات التي لايكون فيها علامة تأنيث ومع هذا فانها تعتبر مؤنثة في اللغة · وتارة يكون فيها علامة التأنيث وتعتبر من قبيل المذكر و يبين الوجه في ذلك وعلته بأجمل بيان وأحسن أسلوب وهو مع سابقه من الكتب اللغوية الممتعة التي لم تطبع على ما يظهر · وهو في نحو ٤٧ صفحة ·

وقد عُني بتصحيح هذه المجموعة المفيدة وضبط ألفاظها والتعليق عليها الأديب الشيخ مصطفى الزرقا احد طلاب المدرسة الخسروية بحلب · وان آثار عنايته في الضبط وتحري الصواب ظاهرة جلية بحيث لم يغب عنه الاالقليل من التصحيح: من ذلك ماجاء في الصفحة الرابعة (كفاية المتحفظ) من ان (الرود) هي المرأة الناعمة وقد ضبط (الرود) بفتح الراء وسكون الواو وهذا الضبط خطأ وتابعه على هذا الخطأ المصحح لكنه استشكل تفسير (الرود) بالمرأة الناعمة وقال انه لم يجدها في كتب اللغة و نما وجد ان (الرود) بمعنى المرأة الطوافة على جاراتها وبمعنى الريح اللينة الهبوب ثم قال فلعل تفسيره بالمرأة الناعمة مجاز تشبيهاً لها بالنسيم اللين الهبوب اه · أقول والصواب في الكلمة هي (الرؤد) بضم الراء واصل واوها همزة فاصل (الرود) (الرؤد) ويقال (الرأد) والرأدة والرؤدة باثبات الهمزة وتخفيفها وكل ذلك بمعنى المرأة الناعمة فمادة الكلمة من مهموز العين لامن الأجوف الواوي · وقد أعجبني من تعاليق الكتاب هذا الخبر الطريف في تفسير كلمة (الألوّة) وهو عود الطيب الذي يتبخر به وهو :

« روى ابن ابي حجلة التلمساني في كتابه (جوار الأخيار في دار القرار) الذي وضعه في تاريخ (عقبة بن عامر) الجهني الصحابي من انه لما دفن رسول الله (ص) دخل الى المسجد أعرابي وافد عليه وهم ينفضون ايديهم من ترابه الشريف · فلما علم الاعرابي وفاته عليه السلام أنشأ يقول :

(هلا جعلتم رسول الله في سَفَطٍ من الألوّة أحوى ملبساً ذهبا)

(او في سحيق من المسك الذكي ولم ترضوا لجنب رسول الله متربا)

فقال له ابو بكر رضي الله عنه « تلك سنة الله في خلقه يا أخا العرب واما انت فرجو ان يغفر الله لك اه » اقول وقوله (ملبساً) كذا بالنصب ولعل صوابه (ملبس) بالجر صفة لسفط .

له

الجزء الثالث

« من كتاب نهر الذهب »

في تاريخ حلب

قبلاً كتبت عن الجزء الاول والثاني من هذا التاريخ لاحد علماء حلب وأدبائها الشيخ كامل الغزي وذكرت ان المؤلف لم يعتن في جعل عبارتهما تناسب شهرته في الأدب ، والآن صدر هذا الجزء بعبارة أحسن من سابقيه ، وفيه إجمال عمن تولى حلب قبل الاسلام ثم حوادث من ملكها منذ الفتح الاسلامي والغزوات التي حدثت وما يتعلق بذلك مرتباً على السنين كعادة اكثر مؤرخي العرب ، وفيه كلام طويل عن احوال السلطان عبدالحميد الثاني وعن ابراهيم باشا الكردي وعن رواية الصابونجي في اسباب الزلازل وعن الحرب العامة واسبابها وسياسة الدول فيها وماحدث اثناءها من المظالم وسوء الادارة ، واجمال لتاريخ الترك واجمال لتاريخ فرنسا .

هذا الجزء أغزر مادة من سابقيه وقد حوى من أخبار النصف الثاني للقرن الهجري الماضي مالم يقع لمؤرخ نشره بهذا التفصيل وفيه امور زائدة لا تعد في تاريخ حلب مع ان فيه شدة اقتصار لبعض الحوادث القديمة التي كان الأجدر ان يؤتى فيها على بعض التفصيل المغني عن مراجعة المطولات . وصفوة القول ان هذا الجزء حافل بكثير مما يهم مريد الاطلاع على اخبار حلب قديماً وحديثاً ، وقد وعد المؤلف بقرب إخراج الجزء الرابع وفقه الله تعالى .

من اعضاء المجمع

مسعود الكواكبي

الحب والزواج
فلسفة وسنة
تأليف الكاتب نقولا حداد

اسرار الحياة الزوجية
تأليف الدكتورة ماري ستوب
وتعريب نقولا حداد

كتابان يتم احدهما الآخر، خطهما قلم واحد، حبرته في الاول قريحة شرقية رشيدة، فهومنا ولنا، وأملت عليه سطوره في الثاني نفس غربية حية فجاء الينا وعلينا.

يبحث المؤلف الفاضل في الاول في فلسفة الحب والزواج بحثاً حكيماً البسه الخيال حلة جميلة تسر الناظر، ولا تغوي الوارد، فصور الحب بصورته الحقيقية وحله حلاً مادياً وروحياً وأفصح عن غايته وعن صحته وامراضه ونشوئه ونموه وذبوله في دولته وفي مستعمراته، فجاء وصفه هذا على غاية من الابداع. ثم تطرق الى الزواج فألم بموضوعه الصعب الواسع إلماماً يجد فيه طالبه نبراساً يهتدي به في حالك مسالكه وخابره مرآة تصور له فيه محاسنه ومساويه فيتمسك بالاولى ويرتدع عن الثانية.

اما الكتاب الثاني فتتجلى فيه ميول المرأة الانكليزية الجديدة الطامحة الى التحرر المطلق من قيود الرجل، ومجاراته في جميع أعماله والتغلب على أشرف غرائزه، بتقييدها بقيود ذهبية المظهر حديدية الجوهر، صاغت المؤلفة سلاسلها (على ماتدعي) من الأفعال الحيوية الغريزية الكامنة في المرأة الانكليزية الصحيحة.

اما الدعامة التي أقامت عليها هذا البنيان الاسقراطي الفخم فهي ملاحظات ومعلومات شخصية سرية باح بها اليها رجال ونساء ومنها ما هو مقتطف من مطالعات واسعة. وهي لعمر الحق دعامة ضئيلة لا تقوى على حمل ذلك البنيان العظيم من الوجهة العلمية.

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة في مهد بلاد الحرية يكفي التنويه بذكرها لبيان عدم ملائمة بعض مناهج الروح الانكليزية المشبعة بفكرة الحرية دع عنك التربية الشرقية القائمة على المبادئ والتقاليد العائلية الموروثة القديمة.

وقد أحسن المعرب صنعاً بتذييل فصول هذا الكتاب ونقدها والاشارة لما هو

نافع وما هو ضار منها والالماع الى العوائد القبيحة المألوفة في القطر المصري المتعلقة بالتناسليات والحض على تركها مع بيان مضارها في الحياة الزوجية وسعادتها ·

هذا ولا أبخس هذا الكتاب حقه من الفائدة في ايجاد السعادة الزوجية التي يعد تدريب غريزة التناسل وايضاح أفعالها من اكبر العوامل على الحصول عليها · ففي تضاعيف سطوره ولا سيما في ذيوله دروس مفيدة جديرة بالاهتمام يتوقف على مراعاتها في الغالب رئق حب مثلوم وصفو حياة مكدرة ·

هذا والكتابان حسنا الطبع سهلا العبارة قريبا المأخذ على ما في بعض فصولها من المباحث الفنية ·

عضو المجمع العلمي العربي

اسعد الحكيم

هدية

أهديت الينا رواية تمثيلية باسم (غادة الكاميليا) واصلها باللغة الافرنسية للكاتب المشهور اسكندر دماس الصغير · وقد ترجمها الى العربية السيد نقولا بسترس لتكون تقدمة من مجلة منيرفا الى مشتركيها وهي مفتتحة بمقدمة تتضمن البحث في موضوع الرواية المذكورة للكاتب المصري المشهور السيد عبد القادر المازني ·